القيم في حوار الآباء والأبناء في القصص القرآني
(دراسة موضوعية)

إعداد

إياد مثقال مصطفى إسماعيل

المشرف

الدكتور سليمان محمد الدقور

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
التـــفســـــيـــر

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون الأول، 2011

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ١٥/١٢/٢٠١١

ب

قـــرار لجـــنة المناقـــشـــة

نوقشت هذه الرسالة (القيم في حوار الآباء والأبنـــاء فـــي القـــصص القرآنـــي -دراســـة موضوعية-) وأجيزت بتاريخ: 28 / تموز / 2011 م.

أعضاء لجنة المناقشة: التوقيع:

1- الدكتور: سليمان محمد الدقور، مشرفًا
أستاذ في قسم التفسير. .....

2- الدكتور: أحمد إسماعيل نوفل، عضوًا
أستاذ في قسم التفسير. .....

3- الدكتور: أحمد خالد شكري، عضوًا
أستاذ في قسم التفسير. .....

4- الدكتور: عبد الله محمد الجيوسي، عضوًا
أستاذ في قسم التفسير (جامعة اليرموك). .....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ١٤/١٥/٢٠١١

أنـا إياد منقال مصطفى اسماعيل ، أفـوض الجامعـة الأردنيـة بتزويـد نـسخ مـن رسـالتي /أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع: إياد منقال مصطفى اسماعيل

التاريخ: ٦/١٢/ ٢٠١١

إهـــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع لله ولرسوله وللمؤمنين، كما أهدي هذا العمل لوالدي الكريمين اللذين ما فتئا يقدمان العون والمساعدة لي، كما أقدم هذا العمل لأســـاتذتي الكرام وعلمائي الأجلاء الذين قدموا لي العلم والتوجيه والإرشاد، وأخص بالـــذكر منهم:

الدكتور فضل حسن عباس –رحمه الله تعالى رحمة واسعة– الذي استفدت منه حين وضعت خطتي الدراسية، واستفدت من كتاباته القرآنية في مجال القصص.

والدكتور الفاضل أحمد نوفل –حفظه الله– الذي كان له الأثر الطيب في تحبيبي بأسلوبه الرائع ولفتاته المشرقة في جانب التفسير الموضوعي.

وكذلك الدكتور الفاضل والشيخ الجليل الذي أسأل الله تعالى أن يحفظه ويبارك في عمره الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي –حفظه الله– الأستاذ في قسم أصـــول الدين في جامعة العلوم الإسلامية.

كما أهدي هذا العمل إلى زوجتي الحبيبة الغالية وزملائي وإخواني الذين كـــان لهم الفضل بعد الله سبحانه في مساعدتي ونصحي فجزاهم الله كل خير وبارك فيهم.

شكر وامتنان

((لا يشكر الله من لا يشكر الناس))[1]

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي ومشرفي الفاضل والمربي الكريم الدكتور سليمان محمد الدقور الذي قدم لي النصح وخلاصة تجاربه وعلمه فبارك الله فيه وجزاه الله كل خير.

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أساتذتي الفضلاء الذين كان لي الشرف بقدومهم لمناقشتي حين تجشموا قراءة رسالتي فجزاهم الله كل خير على ما قدموا كما أتقدم بجزيل الشكر إلى صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد المبعوث الشخصي لجلالة الملك حفظهما الله تعالى على ما قدم لي من مساعدة ودعم معنوي ومادي فجزاه الله كل خير وبارك فيه.

1 (صحيح)، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 4م، كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف، رقم: 4811، ج4، ص403.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

قرار لجنة المناقشة..... **Error! Bookmark not defined.**
إهـــداء..... د
شكر وامتنان..... ه
فهرس المحتويات ..... هـ

المقدمة..... 1
مشكلة الدراسة:..... 1
أهمية الدراسة:..... 2
أهداف الدراسة: 2
الدراسات السابقة:..... 2
منهج البحث:..... 3

التمهيد 4
المبحث الأول: تعريف القيم لغة واصطلاحًا..... 4
المبحث الثاني: تعريف الحوار لغة واصطلاحاً..... 5
المبحث الثالث: الحوار القرآني..... 6
المبحث الخامس: أهمية القصة القرآنية ودورها في إبراز القيم القرانية وتحقيقها..... 13
المبحث السادس: منهج الأنبياء -عليهم السلام- في الدعوة والتبليغ..... 15
المبحث السابع: مواضع الآيات التي تضمنتها حوارات الآباء مع أبنائهم في القرآن..... 18

الفصل الأول: قيم حوار الآباء والأبناء..... 24
المبحث الأول: قيم التوحيد والإيمان 24
المبحث الثاني: قيم العبادة 43
المبحث الثالث: القيم التربوية 59
المبحث الرابع: القيم النفسية..... 70
المبحث السادس: القيم الاجتماعية..... 95

الفصل الثاني: أثر القيم على الفرد والمجتمع. 102
المبحث الأول: آثار هذه القيم على المستوى الفردي. 103
المبحث الثاني: آثار هذه القيم على المستوى الاجتماعي..... 106
المبحث الثالث: أثر غياب القيم. 109

الخاتمة..... 112
التوصيات 114
المصادر والمراجع 114
الملخص باللغة الإنجليزية..... 122

القيم في حوار الآباء والأبناء في القصص القرآني
(دراسة موضوعية)

إعداد

إياد مثقال مصطفى إسماعيل

المشرف

سليمان محمد الدقور

(ملخص)

تناولت هذه الرسالة موضوع القيم في حوار الآباء والأبناء في القصصي القرآني.

وتحدثت عن قيم الحوار وأهميته في التواصل الإنساني والحضاري وفي ترسيخ الأفكار والمفاهيم والقيم.

وعرضت لموضوع الحوار في القصص القرآني ضمن حوارات الآباء والأبناء لبيان أهمية القصص ودورها في استثمار عنصر الحوار وما تضمنه من قيم.

ووقفت الدراسة على جملة من القيم المستنبطة من هذه الحوارات في مجالات عدة من قيم التوحيد والإيمان وقيم العبادة والقيم التربوية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية.

ومن ثم بينت آثار هذه القيم على الفرد والمجتمع ومدى فاعليتها بهذه القيم وتفعيلها في مجالات الحياة.

ثم ختمت الدراسة بأهم النتائج والتوصيات

المقدمة

الحمد لله الذي نزل علينا أعظم كتبه، واصطفى لنا نبيًا فكان خير نبي أرسل، فالصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

لما كان القرآن الكريم معجزة الله الخالدة التي تنير القلوب، وتحفظ العقول، وتزيد المؤمن تعلقًا بخالقه، ولما يمثل هذا الكتاب العزيز من روح لي، ارتأيت أن يكون بحثي في أمر يتعلق بهذا الكتاب العظيم فوفقني الله لأن أختار القيم التي تمثلها حوارات الآباء مع أبنائهم في القرآن الكريم؛ لأن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- هم منارات الهدى، يقتدي بهم السالكون، ويسير على هديهم المحسنون، فكانت هذه الدراسة المتواضعة التي تلمست أهم القيم التي يجب على كل مسلم التوفر عليها في إدارة حواراته مع أبنائه، وكذلك أن يكون لديه ثقافة عامة عن الكتاب العزيز ليتعلم منه الأجوبة المقنعة لأسئلة أبنائه، وكذلك أن يكون لديه ثقافة عامة عن القرآن الكريم ليجيب عن أسئلة أبنائه المتنوعة والتي استنبطتها ثم صنفتها بناء على نوعها.

مشكلة الدراسة:

تظهر مشكلة الدراسة من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- هل هناك قيم للحوار بين الآباء والأبناء في القصص القرآني؟

2- ما مضمون هذه القيم؟ وما موضوعها؟

3- هل هناك فجوة وهوة بين هذه القيم -إن وجدت- وبين تطبيقها؟

4- هل هناك جهود رسمية ومجتمعية لرعاية هذه القيم وتعزيرها في مجتمعاتنا سواءً أكانت هذه القيم دعوية أم أخلاقية أم نفسية أم غيرها؟

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة من الجوانب التالية:

1-أنها تقف بنا على تحديد القيم القرآنية، وبخاصة

2-يأتي ما تتصل بالعلاقات بين الآباء والأبناء في إصلاح المجتمع وتصحيح

3-أنها تكشف لنا عن الحاجة لهذه القيم في حياة الأسرة والعلاقات الأسرية وبخاصة بين الآباء والأبناء.

أهداف الدراسة:

1-إبراز حقيقة معنى الحوار ودور القيم في حياتنا.

2-بيان أهمية الحوار في المجتمعات.

3-التعريف بالأنبياء الذين جرى في قصصهم حوار الآباء والأبناء والقيم المستفادة من حواراتهم في القرآن الكريم

4-توضيح أثر هذه القيم بمختلف أنواعها على العلاقات الأسرية والاجتماعية.

5-أثر الحضاري والفردي لهذه القيم في بناء الأمة.

الدراسات السابقة:

بعد النظر والاطلاع في موضوع الدراسة تبين أنه ليس هناك دراسة علمية مستقلة متخصصة عالجت هذا الموضوع لإبراز قيم الحوار بين الآباء والأبناء من خلال القصص القرآني وبيان أثر ذلك في الفرد والمجتمع وحضارته. وعلى الرغم من ورود بعض الإشارات هنا وهناك في بطون كتب التفسير وفي كتب القرآن من طرق مباشرة إلى أنها استنبطت إشارات متفرقة ومبعثرة وغير مجتمعة والقرآن بطريقة تأليفية موضوعية تعرض الموضوع العلمي المطلوب. ومن أن العنوان قد لا يشير إلى موضوع دراستي، إلا أنني وجدت صاحبه قد حصر حديثه في القصص التي أرادها فجمع قصص القرآن التي تحدثت عن الآباء والأبناء، إلا أن هذه الدراسة لم تعالج هذا الموضوع من

جانب قيمي لبيان حركة الحوار وأثره من خلال هذه القصص وإنما عالجها من خلال دراسة هذه القصص دراسة تحليلية كما هو في منهج عرض بقية القصص التي يعرض لها غيره من المؤلفين.

أما دراستي هذه فتقوم على إفراد هذه القيم وإبرازها من خلال الحوار في هذه القصص للوقوف على أهمية القيم ودورها في بناء الفرد والمجتمع والأمة بشكل يجمعها ويؤسس لها في شكل منهجي مستقل ومتكامل.

2-"حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية" إعداد سارة بنت هليل بن دخيل الله المطيري، وهي دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة أم القرى سنة (1429هـ)، وقد تناولت هذه الدراسة حوارات الآباء مع أبنائهم في القصص القرآني في الجانب التربوي فقط أما دراستي فقد بحثت حوارات الآباء مع الأبناء وقوق الآباء والإيمان الأبناء وفالأخلاقي القة وآنف الكريم واقع ديم العبادة بالإضيد، وهافة إلي دراس الجانة مقدمب التربلنيولي درجة إضدكتوفارة بجامعة الأزهر الأشتريلفاضلة (1982م) طيري.

ولم أستطع الوقوف عليها، لكن يظهر من عنوانها أنها خاصة بالحقوق وليس بالحوار بين الآباء والأبناء.

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على:

المنهج الاستقرائي: حيث يقوم الباحث بدراسة الآيات الواردة بهذا الشأن في القصص القرآني جميعه.

المنهج النقدي: حيث يقوم الباحث بدراسة هذه الآيات ثم تحليل مضامينها ودلالاتها لاستنباط المعاني والإرشادات المبثوثة فيها.

التمهيد

وفيه تعريف الحوار لغة واصطلاحًا، والحوار القرآني، وتاريخ الحوار القرآني، ثم سأعرض لأنواع الحوار في القرآن الكريم، سواء الحوار القصصي أو الغيبي المستقبلي، ومن ثم سأنتقل إلى القيم وتعريفها لغة واصطلاحًا، والقيم من منظور إسلامي، وأهمية القصة ودورها في إبراز القيم القرآنية وتحقيقها، وكذلك منهج الأنبياء في الدعوة والتبليغ، بالحجة والحكمة والموعظة الحسنة ووضوح الدعوة، وأخيرًا سأتكلم عن القصة وتعريفها لغة واصطلاحًا.

المبحث الأول: تعريف القيم لغة واصطلاحًا.

القيم في اللغة: مصدر كالصغر والكبر، "والقيمة بالكسر واحدة القيم، وأصله الواو، لأنه يقوم مقام الشيء، ويقال: قومت السلعة، أي: قدرتها، والاستقامة: الاعتدال، ويقال: استقام له الأمر، أي: اعتدل، وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [فصلت/6]، أي في التوجه إليه دون الآلهة، و"القيمة: مفرد قيم، لغة: من قوم، وقام المتاع بكذا أي تعادلت قيمته به، أي يستقيم"[1]. والقيمة: الثمن الذي يقوم به المتاع أي يقوم مقامه والجمع القيم"[2]. وبناءً على ما تقدم فإن القيمة لغة تظهر في: الاعتدال والاستقامة والجانب المعياري وتأتي بمعنى الثمن، ولعل هذا ما سيكون له الأثر في تحديد المعنى الاصطلاحي.

أما اصطلاحًا: "القيم موازين ومعايير تضبط الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة وذلك لأن المجتمعات والشخصية الملتزمة لا يمكن أن تستغني عن الأخلاق، لأن الأخلاق هي صمام أمان يحفظ والعقيدة"[3] المجتمعات ويجعلها في أمان دائم.

---

1 ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص496، مادة قوم.

2 الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، ص714.

3 قمحية، جابر، المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، لبنان–بيروت، 1984، بتصرف.

المبحث الثاني: تعريف الحوار لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: الحوار في اللغة.

من خلال الرجوع لمعاني كلمة الحوار واشتقاقاتها في معاجم اللغة العربية، وجدت أن معانيها قد اختلفت وتنوعت وفقًا لتنوع هذه المعاجم، مع أن أصل معنى الحوار واحد، وهو الرجوع، "فالحور: مصدر حار يحور حورًا إذا رجع"[1]، "يقال: حار إذا رجع... والعرب تقول: والتحويز: الترجيع، الحور: الرجوع عن الشيء إلى الباطل في حُور أي رَجْع ونَقْص"[2]. وكل شيء يتغير من حال إلى حال، فإنك تقول: حار يحور، وقال لبيد:

يَحُورُ رَماداً بَعْدَ إلا كالشهابِ وَضَوْئِهِ إلمَرْءُ

وتطلق الكلمة على معان عدة منها: إذْ هُو سَاطِعُ"[3]

1-الأحور يطلق على العقل، فيقال: "ما يعيش فلان بأحور أي: ما يعيش بعقل يرجع إليه"[4] ووجه التسمية بالأحوز: تحقق معنى الرجوع من صاحب العقل لعقله فيما يعرض له من أمور.

2-"المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة، وهي البكرة العظيمة التي يستقى عليها"[5] ويظهر لي من خلال هذه الأقوال أن خلاصة معنى الحوار: هو الرجوع عن الشيء لغيره.

المطلب الثاني: الحوار في الاصطلاح.

هناك تعريفات عدة لمصطلح الحوار بحسب المنطلق الفكري الذي ينطلق منه من يتناول هذا المصطلح، ولكنني هنا سأهتم بالتعريف الذي يتصل بموضوع دراستي، وذلك فيما يرتبط بمفهوم الحوار الذي يدور بين طرفين أو أكثر حول أمر معين، وقد وجدت جملة من التعريفات سأذكر أهمها وأقربها إلى موضوع دراستي:

1 ابن الحسن الأزدي البصري، جمهرة اللغة، ج1، ص525.

2 ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص17.

3 الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج5، ص227-229.

4 ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص264.

5 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص117.

وعرفه صالح بن عبد الله بن حميد بقوله: "هو مناقشة بين طرفين –أو أطراف– بقصد تصحيح وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي"[1] وقد ورد الحوار بهذا المعنى في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

1– قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف/34].

2– وقال: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف/37].

3– وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة/1].

وعندي أن الحوار اصطلاحًا: مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر مع وجود خصومة أو دونها، هدفها الوصول إلى الحقيقة وفق ضوابط محددة.

المبحث الثالث: الحوار القرآني.

وهنا سأقف على تعريف الحوار القرآني ومفهومه، والذي يعرفه العلماء بأنه "كل نداء أو خطاب أو سؤال يوجهه القرآن –أي يحكيه– موجهًا إلى منادى أو مخاطب أو مخاطبين حول أمر هام أو يوجهه النبي –ﷺ– إلى أصحابه أو إلى المسلمين بقصد توجيههم وتوجيه اهتمامهم إلى هذا الأمر أو إلى تحقيق هدف معين أو القيام بسلوك فكري أو اعتقادي أو اجتماعي أو أخلاقي أو تعبدي"[2]. وللقرآن الكريم استعمالات عدة لمعاني الحوار ذكرها الله في كتابه العزيز، والتي تعني المراجعة الكلامية؛ استنادًا إلى معنى الحوار في اللغة، فمنها قوله

1 ابن حميد، صالح بن عبد الله، معالم في منهج الدعوة، دار الأندلس الخضراء، جدة السعودية، ط4، 1999.

2 النحلاوي، عبد الرحمن، التربية بالحوار، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2002، ص14.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف/37]، فقد دل لفظ المحاورة في

لفظ المحاورة في الآيتين الكريمتين على معنى المجاوبة والمراجعة الكلامية بين طرفين ينتقل من الطرف الأول ويعود إلى الطرف الثاني. ذا النوع أن المجاوبة الكلامية بين الطرفين فيها معنى الخصومة، ويدل على ذلك اختلافهما في الدين، وقد فسر الإمام الآلوسي -رحمه الله- معنى الحوار في هذه الآية الكريمة: "بأنه المراجعة والمجاوبة"[1]، ومن استعمالات القرآن الكريم للحوار ما ورد في سورة المجادلة في قوله سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة/1]. فقد استعمل القرآن الكريم في هذه الآية لفظ (المجادلة) فيما دار بين المجادِلة وبين النبي -ﷺ- في شأن زوجها، علمًا بأنه ليس بينها وبين النبي خصومة، فقد وصف القرآن ما دار مع النبي والمرأة المجادلة (بالمحاورة)[2]، وكلا الحالين هو الذي سأن زوجها، لأنهما بمعنى (المراجعة والمجاوبة الكلامية) وهذا ما فسره الإمام البغوي وكذا أبو الفرج ابن الجوزي في تفسيرهما لمعنى الآية[3].

المطلب الأول: الحوار في القرآن الكريم.

ونقصد بتاريخ الحوار في القرآن الكريم: أن القرآن هو أصدق وأجلّ كتاب تحدّث عن هذه الفكرة باعتباره مرجعية كبرى فيما ذكره عن الأمم السابقة، وقد سجل القرآن الكريم في العديد من مواضعه، وقد حدث الحوار بين الله والملائكة، وقد صورت سورة البقرة هذا المشهد من الحوار وسجلته بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة/30]، ومن مشاهد تاريخ

---

1 الآلوسي، محمود البغدادي، روح المعاني، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ج9، ص296.

2 موسى، الحوار في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء-كلية الآداب، ص38 بتصرف.

3 البغوي، معالم التنزيل، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2000م، ج5، ص39، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ط1، 1994م، ج8، ص4.

واستكباره عن السجود لآدم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف/11-18]، وكذلك تطرق القرآن الكريم إلى أول حوار بين الجنس البشري وهو حوار ابني آدم، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المائدة/27-29].

ومنها حوار بين إبليس الرجيم وبين ربه تبارك وتعالى ومنها حوار الملائكة لرب العزة ومنها حوار الإنسان لبني الإنسان وغيرها.

المطلب الثاني: أنواع الحوار في القرآن الكريم.

لقد صنف بعض العلماء الحوار القرآني من خلال تتبعهم لآيات القرآن الكريم والتأمل بمفرداته إلى أنواع، منها: الحوار مع المشركين لإثبات الألوهية مثل قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون/٨٤-٨٩]، والحوار بين الكفار يوم

والحوار بين الكفار يوم القيامة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سبأ/31-33]، والحوار بين المؤمنين والمنافقين كما جاء في بدايات سورة البقرة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة/11، 13-14].

وسأقتصر في بحثي هذا على ما يهمني في موضوع رسالتي على نوعين هما: الحوار في القصة القرآنية، والحوار الغيبي المستقبلي.

أولاً: الحوار القصصي.

أما الحوار القصصي فقد عرفه العلماء على أنه: "المجاوبة الكلامية بين طرفين أو أكثر، وتأتي في طيات قصة واضحة في شكلها وتسلسلها القصصي نتيجة للاختلاف في القلب والقالب في قضية ما، ويحاول فيها كل طرف من الأطراف إظهار وإبراز ما يعتقده ويراه صحيحًا، والحوار القصصي يزيد في جمال القصة وإقبال القارئ عليها وتأثره بأبطالها خصوصًا إذا كانوا صادقين في تحاورهم وكانت تلك المشاهد مختلفة ومتنوعة فإن ذلك يورث وصف مشاعرهم وكانت تلك المشاعر متضاربة"[1].

وعند استقراء عرض القرآن الكريم للقصة ولما تحتويه من مشاهد مختلفة ومتنوعة فإن ذلك يورث بطريقين، هما:

1 النحلاوي، عبد الرحمن، التربية بالحوار، دار الفكر المعاصر بيروت، دمشق، ط1، (2002م)، ص35.

الأولى: طريقة السرد[1]: ويعرفه العلماء على أنه: "(سرد الآيات القرآنية في جزء منها سواء كانت متتابعة أو متفرقة)، وتتضح أهمية السرد في جانبين، أما الأول: فهو عملية الربط بين أجزاء متحاورة، والثاني: التعقيبات التي تمثل الإحاطة بالقصة من أحداث وحوار سواء كان سلبيًا أم إيجابيًا"[2]

الثانية: طريقة الحوار: ويرتبط السرد والحوار معًا ارتباطًا وثيقًا في القصة القرآنية، إذ لا يخلو السرد في الغالب من إتباعه بطريقة الحوار على لسان أطراف القصة، وكذلك الحوار بالمثل لا يخلو من إتباعه بتعليقات القرآن الكريم بطريقة السرد على ما دار من حوار بين الأطراف، وهذا هو شأن أسلوب القرآن الكريم في تناول موضوعات القصص القرآني، سواء أكانت هذه القصة مكتملة بصورة تامة أو منتخبة في أجزاء منها[3]، فمرة يأتي في مطلعها ملخص يسبقها، بأن يذكر آخر القصة أو نتيجتها قبل سردها، ثم تأتي التفصيلات بعد ذلك من مبدئها إلى نهايتها، وذلك كطريقة قصة أهل الكهف فهي تبدأ على الشكل التالي: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ﴾ [الكهف/9-19]"، إلى هنا ينتهي سرد القرآن الكريم في ملخص القصة، ثم يأتي بعد ذلك الحوار في تفصيل هذا الملخص ليسهم أكثر في إيضاح القصة ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ

1 البستاني، محمود، دراسات فنية في التعبير القرآني، دار الجماهير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، (1981)، ص213.

2 الشعبي، عبد المجيد موسى، الحوار في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، كلية الآداب، ص47.

وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الكهف: ١٣ – ٢٠]، ثم تستكمل بقية القصة بأسلوب القرآن الكريم عن طريق سرد الآيات لتحقيق الهدف المنشود.

ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها كقصة موسى عليه السلام في سورة القصص من قوله تعالى: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص: ٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: 6] ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها، يتخلل هذا التفصيل –الذي يغلب عليه جانب السرد القرآني في بدايته– جوانب حوارية كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص:١١]. ﴿ ثم يعود السرد مرة أخرى في مقاطعه من الآيات الكريمة عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ﴾ [القصص:12]. قصة موسى مع الذي استغاثه من شيعته، ثم نصيحة رجل آت من أقصى المدينة، ثم تتوالى الجوانب الحوارية يتخللها جوانب السرد للربط بين أجزاء القصة [1]، "ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص؛ ليتكامل جانب السرد وجانب الحوار في إظهار القصة وأحداثها للوصول إلى تحقيق الهدف العام، وإن كان الحوار يغلب أحياناً على جانب السرد كقصة سليمان مع الهدهد وبلقيس"[2]، ومرة تكون القصة على شكل حوار فتكون ألفاظها نفسها هي المنبهة إلى ابتداء العرض، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أطرفها بشكل حوار واضح، كحوار الله عز وجل مع إبراهيم عليه السلام في قضية الإحياء

[1] الشعبي، عبد المجيد موسى، الحوار في القرآن كريم؛ رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، ص479 بتصرف.
[2] الشعبي، عبد المجيد موسى، الحوار في القرآن كريم؛ رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، ص479 بتصرف.

وجل مع إبراهيم عليه السلام في قضية الإحياء والإماتة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، إلى نهاية الآيات[1]. هذه خلاصة سريعة لأساليب القرآن الكريم في عرض القصة والذي يأتي الحوار من خلال بعض أجزائها -كما أشرنا سابقاً- وقد تبين كذلك مواقع الموضوع الحواري من التركيب العام للقصة كون الحوار هو أحد مكونات القصة الأساسية.

ثانيًا: الحوار الغيبي المستقبلي (المشاهد الحوارية).

تعريفه: الحوار الغيبي المستقبلي: هو حوار بين طرفين أو أكثر، وغالباً ما يعبر القرآن الكريم فيه عن المستقبل بصيغة الماضي، وذلك لتحقق الوقوع، وذلك بوصف الحالة النفسية لبعض المتحاورين، أو يشعر السامع بقصد هدايته إلى الاقتداء بالصالحين أما موضوعه: فهو يعالج موضوع العقيدة ويؤسس قواعدها بصورة صحيحة، ويصحح المفاهيم الخاطئة التي والابتعاد عن سلوك الشريرين الذي أودى بهم وأوصلهم إلى هذا الندم والعذاب النفسي والجسدي[2]. اعتقدها الضالون والتي أودت بهم إلى انحرافهم عن منهج الله تعالى وتوجيهاته الربانية لهم[3].

ويكون الحوار الذي يدور يوم القيامة على أضرب:

1-ما يدور في جهنم من تخاصم أهل النار، ويتحدث أيضاً عن المستضعفين الذين يتبعون كبراءهم في الدنيا، كما يصور هذا النوع من الحوار مشهداً آخر من حوار أهل الجنة وأهل النار.

2-ما يدور من حوار بين الله عز وجل وعيسى عليه السلام.

3-ما يدور من حوار بين المنافقين والمؤمنين[5].

وهذا النوع من الحوار لا صلة لي به في هذا البحث، فلا أطيل الحديث عنه.

---

[1] شيخ أمين، بكري، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، ص228.

2 النحلاوي، عبد الرحمن، التربية بالحوار، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، دمشق، ط1، (2002م)، ص26، الحوار في القرآن كريم، رسالة ماجستير [غير منشورة]، الجامعة الأردنية، 1998م، ص45، 46.

3 ينظر: [الحديث/57/20-25]، [آل عمران/3/55]، [الأعراف/7/38]، [الأحزاب/33/66-68]، [الصافات/37/27-33]، [الزمر/39/56]، [غافر/40/47-50]، [الشورى/42/44-45]، [الزخرف/43/67]، [الدخان/44/41]، [الجاثية/45/34]، [الأحقاف/46/20]، [ق/50/27-29]، [الطور/52/15-16]، [الواقعة/56/51-56]، [المدثر/74/38-48]، [النبأ/78/24-30]، [عبس/80/34-42]، [الغاشية/88/1-7].

4 ينظر: [الأعراف/7/44-51]، [الصافات/37/50-57]، [الزخرف/43/68-73]، [الواقعة/56/8-26]، [الحاقة/69/19-37]، [المعارج/70/8-18]، [المدثر/74/38-48]، [الإنسان/76/5-22]، [النبأ/78/24-30]، [عبس/80/34-42]، [التكوير/81/8-14]، [الانفطار/82/13-16]، [المطففين/83/22-28]، [الانشقاق/84/7-15]، [البلد/90/13-20]، [الليل/92/14-21]، [الضحى/93/4-11]، [الزلزلة/99/1-8]، [العاديات/100/1-11]، [التكاثر/102/1-8].

5 ينظر: [الحديد/13-15].

المبحث الرابع: تعريف القصة القرآنية.

القصة لغة: التتبع والاقتفاء، وهو معنى ملحوظ في القصة التي هي جملة من الكلام المقصوص، والقصة تكتسب هذا الاسم من معنى فعل القاص حين يمارس عمله في قص الخبر، فهو يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها ويقتفي آثار أحداثها في ترتيب بعضها على بعض، وكأنَّ القاص في ذلك يحاكي قصاص الأثر وهو تتبع آثار الأقدام على الأرض حتى يعرف مصير تلك الأقدام ويصل إلى النهاية، وهي صلة تنطبق على المعنى اللغوي للفظ (قصة) وذلك حين يقوم القاص وهو يكتب القصص القرآني، فلقد وقفت على بعضها متأملاً فيها، أعجبني منها تعريف السيد محمد خير العدوي حيث قال: "هي كل خبر موجود في القرآن الكريم أخبر به الله تعالى رسوله محمداً -ﷺ- بحوادث الماضي بقصد العبرة والهداية، سواء أكان ذلك بين الرسل وأقوامهم، أم جاء القصص القرآني للتوجيه والإرشاد ولبناء العقيدة السليمة عند الأمة المسلمة، وكان لهذا الكتاب العظيم أبلغ الأثر في ثراء القصة القرآنية وإبراز دورها وقيمها، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود/١٢٠] وقال تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف/١٧٦]. تقسيمها إلى قسيم العقيدة والتوحيد، وقيم في ميدان الدعوة والأخلاق والسلوك، فقسيم العقيدة التي أكدتها القصة القرآنية، يندرج تحتها إثبات صدق الوحي المنزل على رسول الله -ﷺ-: قال تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ

المبحث الخامس: أهمية القصة القرآنية ودورها في إبراز القيم القرآنية وتحقيقها.

1 الزير، محمد بن حسن، القصص في الحديث النبوي، دار اللواء، الرياض، ص 38 –39، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص809.

2 العدوي، محمد خير محمود، معالم القصة في القرآن الكريم، دار العدوي، عمان–الأردن، ط1، 1988م، ص33، بتصرف.

﴿قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وكذلك جاءت القصة القرآنية على أن مصدر الرسالات واحد وأن قضيتها واحدة، وجاءت بكلمة واحدة، أما مصدرها فهي من عند الله سبحانه وتعالى، وأما قضيتها فهي العبادة، قال تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، وتعدّ القصة القرآنية مظهراً من مظاهر الإعجاز، وهو إعجاز إخباري عن أمم سابقة جاءت على لسان إنسان أمي لا يقرأ ولا يكتب، وهو النبي محمد -ﷺ- الذي لم يشاهد الوقائع ولم يقرأها.

أما القيم الدعوية والأخلاقية والسلوكية: فقد جاءت القصة القرآنية لتوجيه قيم السلوك وإبرازها من خلال تفصيل أسباب هلاك الأمم السابقة ومآلها، والتي تتلخص في الطغيان والترف والبطر والظلم والاستعباد الفكري والنفسي والعقلي والسخرية وغير ذلك[1]

ولقد جاءت القصة القرآنية لتعزز موقف النبي عليه الصلاة والسلام وتؤكد على ما جاء به من قيم سامية، وتنفي ما جاء عنه من تهم السحر والجنون والكهانة وغيرها، وبيان موقف المشركين في ذلك، فقد كذب الرسل من قبل فصبروا حتى جاءهم نصر الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]، كما أن القصة القرآنية رسمت الصورة الواضحة والمنهج الطيب كقيمة بين الناس في المعاملة الطيبة والدعوة إلى الخير، بتعزيز الأخلاق الفاضلة التي جاء بها كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كالصدق والأمانة والإيثار وغير ذلك[2]

وقدمت القصة القرآنية نموذجاً عملياً في تحقيق القيم، وهي القدوة، لأن طريق حماية الإنسان من الوقوع في الآثام، والحض على التوبة للمسيء، "والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش، وهذا كله يكون بتقديم أمثلة لشخصيات تمثل جانب القدوة الإيجابية، كأيوب عليه السلام في صبره، ويوسف عليه السلام في صبره وعفته وتسامحه، وأمثلة أخرى لشخصيات تمثل الجانب السلبي كقارون في اغتراره بالمال والجاه، وفرعون في تعاليه وغروره وإصراره على الكفر، وقوم لوط في إصرارهم على الفواحش،

1 عباس، فضل حسن، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ط1، 1407-1987، دار الفرقان، ص11.

2 بتصرف، نظرات في القصص القرآني، دار الصحافة والنشر، مكة المكرمة، السنة السادسة، العدد 59، ص73.

إصرارهم على الفواحش، والقرآن الكريم يحض من خلال عرض قصصهم على البعد عن مسلكهم الوخيم العاقبة دنيا وآخرة"[1].

المبحث السادس: منهج الأنبياء -عليهم السلام- في الدعوة والتبليغ.

لقد اختط الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- منهجاً سامياً وواضحاً في دعوتهم لأقوامهم، ولعلي أقف وقفة تأملية مع القرآن الكريم الذي حدد ورسم بمنهجية الأساس التي قامت عليها دعوات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ولعل من أبرزها:

المطلب الأول: الحجة والبرهان.

وهذا الأسلوب استخدمه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بهدف إظهار الحق وإزهاق الباطل، والأمثلة جلية في هذا المضمار، ومن أمثلة ما يتحدث عنه القرآن ما قام به إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه، وكانت هذه الدعوة بمجملها تخاطب العقل وإقناع الناس بالحجة، ودليل ذلك قوله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣]، فكان يوجه العقول إلى الحقائق ويهيب بها التأمل من الأدلة الظاهرة في مخلوقات الخالق إلى الإيمان بالدليل والبرهان على وجود الخالق الذي أبدعه[2] عليه السلام بمجادلة النمرود، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وبعد استدلاله عليه السلام بالمجادلة بأسلوب إثبات قدرة الله على النمرود، استخدم عليه السلام

---

1 عباس، فضل حسن، قصص القرآن الكريم، دار النفائس، عمان- الأردن، ط2، 1427هـ-2007م، ص44، 45.

2 ينظر، أساليب الدعوة، مركز كناري، إربد- الأردن، (1998)، ص29، بتصرف.

النمرود، استخدم عليه السلام أسلوباً أقوى وهو: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ﴾ وهذا يؤكد لي أن أسلوب المحاجة تقدم على اقتناع العقل بالحجة البرهان[1].

المطلب الثاني: الحكمة.

وهو الأساس الثاني الذي اختطه الأنبياء في منهج الدعوة، وهي: "الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والمتجه إلى الفكر مباشرة من غير إثارة الوجدان"[2]. إن أسلوب الحكمة واضح وجلي في كتاب الله -عز وجل- من خلال حديث القرآن الكريم عن دعوة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لأقوامهم، وتتضح الحكمة جلياً من خلال جوانب عدة، ومن ذلك:

أ- عرض دعوتهم على الناس بالأساليب والوسائل التي تتناسب معهم، ومن الأمثلة التي ذكرها القرآن: دعوة موسى -عليه الصلاة والسلام- لفرعون الطاغية الذي تألّه وتكبر واستخدم السحر واستعبد الناس، فكان أسلوب موسى -عليه الصلاة والسلام- حكيماً بأن دعاه بقول جل شأنه مخاطباً موسى وأخاه هارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤][3].

ب- ومن جوانب الحكمة أيضاً عدم تجريح الأنبياء لأقوامهم، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، وهذا واضح جلي في قصة موسى أيضاً، فرغم ما لاقاه من تكذيب وإيذاء ونفي، إلا أنه صبر وحث قومه على أن يتحلوا بالأخلاق الفاضلة، وهذا ما تحدث عنه القرآن، فقال سبحانه وتعالى على لسان موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

---

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص318 بتصرف.

2 الرازي، محمد أبي بكر، مختار الصحاح، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، (1986م)، ص148.

3 الملاخيلية، الفقه الأبوي في السنة النبوية، ص68، 69.

يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].[1] وهذا ما دأب عليه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- عامة، ونبينا خاصة -عليهم الصلاة والسلام-، فاستمر داعياً إلى المبدأ الأسمى والمطلب الأعلى طيلة العهد المكي من رسالته ثلاثة عشر عاماً، لا يكل ولا يمل، صابراً على كل ألوان الأذى في سبيل نشر هذا المبدأ[2]، أقول إن ما يلخص دعوة النبي -ﷺ- بأسلوبه الطيب وأخلاقه الفاضلة، ما خاطبه الله بها قائلاً: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] فلم يقتصر سبحانه بأن يقول له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ ﴾ بل أضاف لهذا الخلق ما يُجمّله ويحسنه و

المطلب الثالث: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

وهو الأساس الثالث الذي رسمه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ويعرف العلماء الوعظ بأنه: "النفع والتذكير بالخير على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل"[3]، وتهدف الموعظة إلى التوجيه الجاد وتقريب النفوس بين الداعي والمدعو، وهي تشتمل على اللطف واللين والإثارة [4]، فهاهو نوح -عليه الصلاة والسلام- يستخدم أسلوب الدعوة الطيبة مع قومه، رغم استغراق دعوته ألف سنة إلا خمسين عاماً، ويبين لنا هذا أن الداعية رغم أسلوبه في الموعظة فهي دعوة جادة إلى التوحيد الخالص، لم يترك فيها إلا أن عليه أن يكون صابراً عليها. "وهذا أسلوب رائق وسيلة إلا استخدمها -عليه الصلاة والسلام-.
وبديع فعله نوح عليه السلام، وهذه الدعوة كانت سراً وجهراً فيها الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والاحتجاج والاستدلال بالأدلة العقلية والحسية، ومن واقع أنفسهم وحياتهم، ومما بين أيديهم من السماء والأرض،

[1] المدخلي، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص71، بتصرف.

[2] المدخلي، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص73، بتصرف.

3 الأصفهاني، أبو القاسم الراغب، المفردات، مطبعة البابي البالحلبي، القاهرة، مصر، (1961)، ص527.

4 الدعوة والداعية، دار الوفاء، السعودية، (1987م)، ص46، بتصرف.

بين أيديهم من السماء والأرض، وهذا كله جزء من الموعظة الحسنة، ولقد سجل القرآن دعوته ﷺ وهذا الأسلوب الطيب، منه قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ..﴾ [نوح: ١][1].

المطلب الرابع: وضوح الدعوة.

وهو الأساس الرابع، والوضوح الذي أقصده: أن دعوة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كانت على منهج بيّن وبساطة مع بصيرة ثاقبة، فهدفهم من الدعوة توحيد الله سبحانه وتعالى المستحق للعبادة بطريق واضحة غير ملتوية ولا لبس فيها. فقد أرسل الله تعالى الرسل برسالات، وأرسل معهم مواثيق يوضح دعوتهم ويبينها، فها هو محمد -عليه الصلاة والسلام- يرسل برسالة الإسلام الواضحة البينة، فمصدرها رباني وكتابها قرآني ودعوتها التوحيد، وهي للعالمين كافة، وصدق الله القائل في كتابه العزيز: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨][2].

وأقول هنا: إن منهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كان منهجاً يتصف بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ورغم تعدد هذه المنهجيات وأساليبها إلا أن هدف المنهج كان واحداً وهو إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

المبحث السابع: مواضع الآيات التي تضمنتها حوارات الآباء مع أبنائهم في القرآن.

وقد وجدت هذه الحوارات مبثوثة في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا، وإليك بيان ذلك.

1- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا

---

2 الصابوني، النبوة والأنبياء، ص13، 15، بتصرف.

قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة/١٣٠- ١٣٣].

2- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام/٧٤].

3- قوله تعالى: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود/٤٢- ٤٣].

4- قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَآ عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف/٤- ٦].

5- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يوسف/١١- ١٤].

6- قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ [يوسف/١٦- ١٨].

7- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٦٦ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾ [يوسف/٦٣- ٦٧].

8- قوله تعالى: ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ ﴾ [يوسف/٨١- ٨٧].

9- قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يوسف/٩٤-٩٨].

10- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف/٩٩-١٠٠].

11- قوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم/٢٣-٢٦].

12- قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم/٤١-٤٨].

13- قوله تعالى ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [القصص/١١].

14- قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص/٢٦].

15- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان/١٣-١٩].

16- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصافات/١٠٢].

17- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف/١٧].

الفصل الأول: قيم حوار الآباء والأبناء

المبحث الأول: قيم التوحيد والإيمان

لقد عرض القرآن لقيم الإيمان والتوحيد من خلال ما أوحى الله به لأنبيائه- عليهم السلام- وذلك بأن يبلّغوا أقوامهم أن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكتفِ القرآن بعرض هذه القضية فحسب؛ إنما جاءت آياته الكريمة تبلغنا بأن الإيمان بهذه القضية - التوحيد- ركن من أركان الدين، ويلخص ذلك كله ما ذكره الله بدعوة الناس إلى الإيمان بالله ورسله وكتبهم، يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ [النساء/136]، والإيمان ليس كلامًا يردد على الشفاه، بل هو عمل بالأركان وتصديق بالجنان والتوحيد، ركن من أركان الإيمان، وهذه العقيدة يجب أن يؤمن بها كل موحد يؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبيًا ورسولاً، والله سبحانه وتعالى من تمام رحمته وعدله أنه يغفر الذنوب جميعًا إلا عقيدة الشرك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦ ﴾ [النساء/116]، ومن آدم -عليه السلام- إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم- وقد أكد هذا المبحث الذي حمل اسم قيم التوحيد والإيمان سأقف على أهم القيم التي تضمنتها حوارات الآباء مع أبنائهم في هذا المبحث، وهي:

المطلب الأول: الدين عند الله تعالى هو الإسلام.

إن الإسلام هو دين الأنبياء جميعًا -عليهم السلام- قال تعالى: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢ ﴾ [يونس/72]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ ﴾ [البقرة/132]، لقد جاءت هذه القيمة الرائعة من إبراهيم -عليه السلام- لأبنائه لترسخ خلاصة دعوته، وهي ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران/19]، وهذه الوصية هي من خير الوصايا وأبلغها، لأنها تشتمل على الموت في سبيل الإسلام.؟؟؟؟

والجميل في موضع الآية أن إبراهيم عليه السلام لم يأمر بنيه وإنما وصاهم "ولفظ الوصية آكد من الأمر، لأن الوصية عند الخوف من الموت، وفي ذلك الوقت يكون احتياط الإنسان لربه أشد وأتم، فإذا عرف أنه عليه السلام في ذلك الوقت كان مهتمًّا بهذا الأمر متشددًا فيه كان القول إلى قبوله بمكان، ويلحظ كذلك أنه عليه السلام كان قد بالغ في الزجر عن أقرب"[1] أن يموتوا غير مسلمين.

ويلحظ أن إبراهيم عليه السلام لم يقيد هذه الوصية بزمان ولا بمكان، ويلحظ كذلك حرص إبراهيم عليه السلام أبناءه بالوصية، لأن الوصية بالدين أولى الأمور بالاهتمام وأجدرها بالرعاية.

المطلب الثاني: النهي عن اتباع سبيل الكافرين.

لقد جاء منهج القرآن في عرض قضية الكفر بأن حذر الله تعالى من اتباع سبيل الكافرين فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ [البقرة/108]، والله تعالى غني عن أهل الكفر، فقال سبحانه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران/97] وتتضح هذه بقوله سبحانه على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود/42] وقد جاءت هذه الوصية من نوح عليه السلام لابنه ويتضح من عاطفة الأبوة لحرصه عليه السلام على أن تكون الرابطة التي تجمعهما رابطة محبة إليه فقال له: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود/42] رابطة العقيدة، وكأن نوحًا عليه السلام يلمح لابنه أن الذي يفرق بين "الذين سيلفهم الطوفان بين أمواجه عما قريب، ولكن الأب وابنه هي قضية واحدة: هي قضية الإيمان والكفر.

هذه النصيحة الغالية من الأب الحزين على مصير ابنه لم تجد أذنًا واعية من هذا الابن العاق المغرور؛ بل رد على أبيه: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴿٤٣﴾﴾ [هود/43][2] وثقته وتسليمه لقدر الله تعالى، وتتضح هذه القيمة العظيمة بتسليم نوح عليه السلام لأمر الله سبحانه تعالى- رغم عصيان ابنه له محتسبًا الأجر والرحمة من الله سبحانه وتعالى، وهذا دأب

[1] الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، ج4، ص81.
2 طنطاوي، التفسير الوسيط، ج7، ص208.

سبحانه وتعالى، وهذا دأب الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يقول الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: "﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود/43] بمعنى أنه لا نجاة اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رحمه الله فأنقذه منه لأنه هو سبحانه الآمر الناهي المتأله على خلقه ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ ويعصمه"[1] ويجد أنه سبحانه عبر بأمره عن الطوفان لأسباب منها:

1- "تفخيمًا لشأنه وتهويلاً لأمره.

2- تنبيهًا لخطأ ابن نوح في تسميته ماء كسائر المياه.

3- تعليلاً للنفي المذكور فإن أمر الله لا يرد ولا يغلب.

4- تمهيدًا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره"[2].

ولعل من البديع ما عبر به سبحانه ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ وهي تحتمل عدة وجوه:

1- إلا الراحم وهو الله تعالى.

2- إلا مكان من رحم الله من المؤمنين وهو مكان من ركب السفينة.

3- إلا ذا عصمة إلا من رحمه الله نحو ماء دافق وعيشة راضية.

4- أنه استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم"[3].

المطلب الثالث: رابطة العقيدة مقدمة على رابطة البنوة والأبوة ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سبحانه.

لقد أكد القرآن الكريم على أن رابطة العقيدة مقدمة على قضية النسب، فالله -سبحانه وتعالى- لا يسأل الإنسان عن حسبه ولا عن نسبه وإنما يسأله عن عمله، ويجلي ذلك سبحانه هذا بقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون/101]، فهذا هو ابن نوح عليه السلام الذي كفر بالله

---

1 حافظ، عماد زهير، القصص القرآني، دار القلم، دمشق-سوريا، ص27-28، بتصرف.

2 الألوسي، روح المعاني، ج12، ص60.

3 الزمخشري، الكشاف، ج2، ص375، بتصرف.

الذي كفر بالله سبحانه وتعالى لم ينفعه نسبه لوالده عليه السلام الصالح الموحد لله سبحانه، وصدق الله العظيم القائل ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾، وتذكرنا هذه القيمة بسيرة رسول الله -ﷺ- مع عمه أبي طالب الذي كان يحب النبي -ﷺ- ولكنه مات على الشرك، وهو -ﷺ- وهي من أقل الناس عذابًا يوم القيامة، كما أخبر بذلك النبي -ﷺ-. فهذه الرابطة مع رسول الله -ﷺ- وهي من أقوى الروابط الاجتماعية نسبًا لم تغن عن عم النبي -ﷺ-، وصدق رسول الله -ﷺ- حيث قال: "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[1]. وتعلمنا هذه القيمة أن النسب لا يقدم ولا يؤخر في ميزان الأعمال يوم القيامة، وإنما الاجتهاد والحرص على طاعة الله وابتغاء مرضاته هي التي ترفع المسلم وتجعله من المقبولين برحمة الله وفضله[2].

قال الفخر الرازي -رحمه الله تعالى-: "هذه الآية تدل على أن العبرة بقرابة الدين لا بقرابة النسب، فإن في هذه الصورة كانت قرابة النسب حاصلة من أقوى الوجوه، ولكن لما انتفت قرابة الدين لا جرم نفاه الله تعالى بأبلغ الألفاظ وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود/46].

المطلب الرابع: الرؤيا الصادقة أول إرهاصات النبوة وفيها زيادة علم وإتمام نعمة.

لقد أخبر النبي -ﷺ- أن رؤيا الأنبياء حق، وقد فرق العلماء بين الرؤيا والحلم، فالحلم من الشيطان والرؤيا من الرحمن، فهاهو يوسف عليه السلام يكرمه الله سبحانه وتعالى بأن يريه أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر، فالله سبحانه وتعالى قد رفع مقام يوسف عليه السلام عاليًا كما رفع مقام الشمس والقمر، وقد أوضح المفسرون أن يوسف عليه السلام قد رأى أحد عشر كوكبًا (إشارة إلى بقيه إخوته) سجودًا له والشمس والقمر (وهما عبارة عن أبويه)[4].

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم 7028.

[2] المصري، محمود، قصص الأنبياء، ص84، بتصرف.

[3] الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، ج18، ص3.

[4] المصري، قصص الأنبياء، ص285.

وقد عرض على والده ما رآه ليدرك منه مغزى هذه الرؤيا والتي أبلغه والده عليه السلام بأنها رؤيا سيكون فيها الخير، ولكنه نصحه بأن لا يقصها على إخوته خشية الحسد ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف/6]. قال أبو حيان: "فهم يعقوب عليه السلام من رؤيا يوسف عليه السلام أن الله تعالى يجتبيه ويبلغه مبلغًا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين، فخاف عليه من حسد إخوته فنهاه أن يقص رؤياه عليهم"[1] والجميل أن الله سبحانه وتعالى زاد يوسف شرفًا على شرف فهو سبحانه يبشره بأنه سيكون عالمًا بتأويل الرؤى التي تعتمد في تفسيرها على الحكمة، فكأن الله تعالى يومئ إليه بذلك أنه حكيم، ويزيده شرفًا بإتمام نعمة أخرى عليه وهي النبوة والاجتباء كما أتمها على أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق عليهما السلام. ويلحظ في كلام يعقوب عليه السلام في أثناء حواره مع ابنه يوسف عليه السلام أنه استخدم لفظ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ [يوسف/5]، وبني في اللغة تصغير (ابن) وأتى بها للشفقة عليه أو لصغره"[2].

وتتعزز هذه القيمة (أن رؤيا الأنبياء حق) مع إبراهيم عليه السلام في ذلك المشهد المهيب، فهاهو يقول له: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات/102] مع أنه عليه السلام كان مشفقًا على أبيه يريده مؤمنًا يقول له مترحمًا: (يا أبت) وقد أعجبني كلام أستاذنا وشيخنا د. فضل عباس –رحمه الله– في تصويره لهذا المشهد المهيب ودروسه العقدية والإيمانية في هذه القيمة حيث قال: "لقد كان من قبل يقول: (يا أبت) حريصًا على هداية أبيه، ولكنه اليوم يقول: (يا بني) لا من أجل أن يرشده لأمر خفي عليه، ولا من أجل أن يمنحه منحة جاء بها إليه، وإنما ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات/102]"[3].

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص280.

2 حافظ، القصص القرآني، ص152.

3 عباس، فضل حسن، قصص القرآن الكريم، ص332.

أقول: إن هذا المشهد المهيب لا يتصور في العقل البشري أبدًا، ولكنه عند أنبياء الله -عليهم الصلاة والسلام- لا يزيدهم إلا إيمانًا وثقة بالله سبحانه، فهاهو إبراهيم عليه السلام يقدم ابنه فلذة كبده امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى. وهذا ما يؤكد قيمة الإيمان التي تتدفق من نفس إبراهيم عليه السلام، وكذلك يأخذنا هذا المشهد وهذه القيمة إلى موقف ابنه الذي كان مستجيبًا لنداء الله، وقد خضع لأمره سبحانه ووفى بميثاق العقيدة والإيمان لربه سبحانه.

يقول د. فضل عباس متابعًا في تعقيبه على هذه القيمة: "إن الموقف بحق يصور لنا ضآلة كل شيء أمام الإيمان، التضحية بكل غال ونفيس في سبيل العقيدة، هكذا نتعلم من أبي الأنبياء عليه الصلاه والسلام ومن ابنه من بعده أن الدين لا يصلح لمسلم إلا أولئك الذين يجودون في التضحية قولاً وعملاً.

ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي

وما أصيب الناس بهذا الشر وما انحسر عنهم هذا التأييد الرباني إلا حينما جعلوا الدين تكأة في حياتهم لا يخصونه إلا بما فضل عندهم من وقت وجهد وعاطفة وربما مال عند بعضهم، إننا لا بد أن نعطي هذا الدين زهرة ما من الله به علينا وما منحنا إياه سبحانه"[1].

المطلب الخامس: الاستغاثة بالله تعالى وعدم القنوط واليأس من رحمة الله تعالى.

لقد أكد القرآن الكريم على عدم القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، فها هو سبحانه ورغم خطأ الإنسان تأتي بشارة من الله تعالى تبلغه أن الله يغفر الذنوب جميعاً، فيقول سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/53] وقد حذرنا الله تعالى في كتابه من صفة القنوط من أنها من صفة الضلال، قال سبحانه: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر/56] وما دام أن الأنبياء -عليهم السلام- جاءوا منقذين للبشرية فإن اليأس والقنوط لم يتخلل إليهم البتة، ولم يعرفوا له طريقاً؛ بل كانت العزيمة والاستغاثة هي ديدنهم في كل أحوالهم.

1 عباس، فضل حسن، قصص القرآن الكريم، ص333.

وتؤكد هذه القيمة من يعقوب عليه السلام وتنتقل بنا من مشهد اليقين إلى مشهد يعزز هذا اليقين في القلوب والأذهان، فها هو يعقوب عليه السلام يشكو إلى الله حزنه ومحنته ولم يلتجئ إلى أحد سوى الله في شكواه، والجميل أنه استخدم أسلوب الحصر فقال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف/86] ويتعزز هذا اليقين من يعقوب عليه السلام بأن طلب من أبنائه بعد توكله أي: يمعنون في البحث، والتحسس مثل التجسس إلا أن الأول بالخير والثاني في الشر على الله أن يتحسسوا من يوسف عليه السلام وأخيه[1]. ويكون بالبشر، وأصله استعمال الحواس بدقة وذكاء، وكما أمرهم بالتحسس فإنه حذرهم اليأس من روح الله، فإن اليأس من شأن الكافرين وأن لا يقنط من رحمته وليطمئنوا إلى ما عنده سبحانه، وقول يعقوب يذكرنا بقول جده إبراهيم -صلى الله وسلم عليهم جميعًا- ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [الحجر/56]"[2] ولعل هذه الآية الكريمة مرارة فقد ابن يعقوب عليه السلام، ولعل هذه المرارة مرت بمراحل مختلفة أولها كما حكته الآية وهو البث ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي﴾ والبث: هو الهم الشديد، وهو التفكير في الشيء المسيء، وثانيها الحزن الشديد، ويلحظ من كلام يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

والحزن: الأسف على فائت وهو أشد من البث، وقد اجتمعا ليعقوب عليه السلام لأنه كان مهتمًّا بالتفكير في مصير يوسف عليه السلام وما يعترضه من الكرب في غربته، وكان أسفًا على فراقه[3]. وقد أعقب كلامه بقوله: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف/86] لينبههم إلى قصور عقولهم عن إدراك المقاصد العالية، ليعلموا أنهم دون مرتبة أن يعلموه أو يلوموه، أي أنا أعلم علمًا من عند الله علمنيه لا

---

1 عباس، قصص القرآن الكريم، ص442، بتصرف.

[2] عباس، قصص القرآن الكريم، ص442.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص45، بتصرف.

علمًا من عند الله علمنيه لا تعلمونه وهو علم النبوة" وجاء نظير هذه الجملة في قصة نوح عليه السلام ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف/62]. كلام النبوة الأولى، وحكى مثلها شعيب عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الشعراء/188]. وفي هذا التعريف يرد تعرضهم بأنه يطمع في المحال بأن ما يحسبونه محالاً سيقع[1].

المطلب السادس: تقبيح صورة الشرك في النفوس.

فالأصل في المعبود أن يكون أعلى مقامًا من عابده، ولا بد أن يكون المعبود سميعًا لعابده بصيرًا بحاله وشأنه، مالكًا لجميع أموره، ولا يكون ذلك إلا للحق تبارك وتعالى، وقد ورد هذا الإنكار في عديد من الآيات قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم/42]. وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام/74]، وقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء/70-73]، وقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات/85-87].

فلقد كان والد إبراهيم عليه السلام في مقدمة عابدي الأصنام، وقد عز على إبراهيم ضلال والده، فأخذ يحاوره بلغة الأدب الرفيع لإخراجه مما هو فيه من الانحراف، غير أن والده الذي تغلغل الشرك في أعماقه قابله بالرد العنيف القاسي، ويتبين ذلك في نصح إبراهيم عليه السلام لوالده بلغة الأدب الرفيع بيانًا بالبرهان العقلي بضلال عبادة غير الله تعالى، وأن الله تعالى قد اختصه بالعلم اللدني في معرفة الله تعالى وخشيته، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم/42]؛ فقد توسل إبراهيم عليه السلام إلى والده بصورة الاستعطاف مكررًا فيها لفظ (يا أبت) الدالة على

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص45، بتصرف يسير.

الاستعطاف مكررًا فيها لفظ (يا أبت) الدالة على إظهار الاحترام والطاعة والشفقة على الأب وذلك في كل مطلب يطلبه من والده قاصدًا هدايته وإنجاءه من عذاب الله تعالى على النحو الآتي:

أولا: إنكاره لوالده عبادة حجارة لا تسمع ولا تبصر، وهذا مخالف لعقلية والده ولمكانته في المجتمع، فهي لا تجلب نفعًا لصاحبها ولا تدفع عنه ضرًّا وما كان هذا شأنه فلا يستحق العبادة ولا يُخاف ولا يُرجى وقد وصفها إبراهيم عليه السلام بثلاثة أوصاف هي قادحة في حق من يزعم أنها آلهة:

1- عدم سماعها لمن يناديها (لم تعبد ما لا يسمع).

2- عدم الإبصار لنفسها ولمن يعبدها (ولا يبصر).

3- لا تدفع الضر ولا تستجيب للدعاء (ولا يغني عنك شيئًا) وكل هذه الصفات إذا فقد منها واحدة في الآلهة فإنها ناقصة لا تستحق العبادة، فكيف بانعدام جميعها.

ومما سبق يلحظ أن إبراهيم عليه السلام قد احتج على والده أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب، حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون إليه، فضلاً عن عبادته التي هي غاية التعظيم مع أنها لا تستحق إلا لمن له الاستغناء التام، والانتقام العام، وهو الخالق الرازق المحيي والمميت، ونبهه على أن العاقل ينبغي أن يفعل لغرض صحيح، والشيء لو كان حيًّا مميزًا سميعًا بصيرًا مقتدرًا على النفع والضر لاستنكف العقل القويم عن عبادته.

المطلب السابع: دعوة الأنبياء عليهم السلام إلى صراط الله تعالى.

أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة، فكيف إذا كان جمادًا لا يسمع ولا يبصر.

أكد الله سبحانه أن صراط الأنبياء -عليهم السلام- هو صراط مستقيم، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران/101] والله سبحانه قد اختار للأنبياء -عليهم السلام- صراطه المستقيم، فقال سبحانه ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام/87] ونبينا محمد -ﷺ- قد هدي الى صراط مستقيم،

1 الشعبي، عبد المجيد موسى، الحوار في القرآن الكريم، ص363-365، بتصرف.

ونبينا محمد -ﷺ- قد هدي الى صراط مستقيم، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ ﴾ [يس/3-4] ونحن في صلاتنا ندع الله تعالى أن يثبتنا على الصراط المستقيم فنقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة/6-7] ويبين الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝٤٣ ﴾ [مريم/43] قائلاً: أي من اليقين والمعرفة بالله وما يكون بعد الموت، وأن من عبد غير الله عذب بسره أن يكون أبوه على الضلال، فأخذ يبحث له عن طريق ينير له الدرب فقال: (فاتبعني أهدك صراطًا سويًّا) أي أرشدك إلى دين مستقيم فيه النجاة[1].

فإبراهيم عليه السلام المؤيد بالعلم من الله سبحانه وتعالى لم (فاتبعني) إلى ما ادعوك إليه (أهدك صراطًا سويًّا) أي والعجيب في الآية الكريمة أنه لم يقل له مباشرة: (أهدك صراطًا سويًّا) بل إنه عليه السلام بين لوالده أن هذه الهداية مبنية على العلم، وكأن الله سبحانه وتعالى يجعل فهذا هو محمد -ﷺ- يقدم البراهين المختلفة بأنواعها للمشركين ليقنعهم برسالته -عليه الصلاة والسلام- ثم الاتباع للنبي؛ الهداية للإنسان بعد مرحلة العلم ثم الطاعة والاتباع للنبي؛ وبعدها تحصل الهداية، وهذا ما سلكه إبراهيم ومثله ومثله نوح عليه السلام ورغم إعراض أبي إبراهيم عليه السلام عن دعوة ابنه ومع ما قدمه له عليه السلام من البراهين والحجج ليقنعه بالتوحيد، إلا إخوانه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

أن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وعلمه المؤيد من الله سبحانه وتعالى لم يصف والده بالجهل أو صفة تقرب من ذلك أو تشير إليها من بعيد، وهذا هو مسلك الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- المؤدي إلى الصراط المستقيم[2].

المطلب الثامن: التحذير من مصاحبة الشيطان واتخاذه وليًا من دون الله.

لقد حذر القرآن الكريم من الشيطان لأنه يشكل العدو الأول للمسلم، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣ ﴾ [الإسراء/53] وتظهر عداوة الشيطان في دعوته للإنسان بأن

1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص75.

2 الشعبي، عبد المجيد موسى، الحوار في القرآن الكريم، ص365، بتصرف.

يكفر، وعندما ينسل من هذه الوسوسات يتبرأ ممن يفعل ذلك، قال سبحانه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحشر/16] وقد حذر الله المؤمنين بعدم تتبع خطوات الشيطان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [النور/21] وتظهر هذه القيمة في تحذير إبراهيم عليه السلام والده من التمادي في عبادة غير الله تعالى وأن عقوبته خذلان الله له، والذي غايته موالاة الشيطان ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم/45]"[1].

قال الزمخشري -رحمه الله-: "ثم ربّع -أي: ذكر رابعًا- بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال، ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يكاشح بل حاف بالعتاب، ألا ترى إبراهيم عليه السلام كيف اتخذ الرفق بردّه ولكنه أخذ في ذكر الخوف (أخاف أن) فذكر الخوف وفقه لما يدفع ذلك العذاب[3]، وهذا العذاب إما مجملة لأبيه أو لخفاء عاقبته عليه، وهذا العذاب قد يكون عذابًا في الدنيا والآخرة، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه ويحمل العذاب في الدنيا إما على الخذلان من الله؛ فأولياؤه أكثر من اليائسين"[2] للشيطان، وإما بأن يبتلى على كفره بعذاب ويكون سببًا لتماديه على الكفر وصيرورته إلى ولاية الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾ [الأعراف/168]. ومما يدلنا عليه قول إبراهيم عليه السلام هذا لأبيه أن ولاية الشيطان، والميل عن العذاب نفسه وأعظم، والسبب في ذلك أننا نجد في مقابله أن رضوان الله أعظم من الثواب على ما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ...﴾ إلى

1 الشعبي، عبد المجيد موسى، الحوار في القرآن الكريم، ص366.

2 الزمخشري، الكشاف، ص638.

3 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص243.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ...﴾ إلى أن قال: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة/72] فوجب أن تكون ولاية الشيطان أسوء حالاً من العذاب وأعظم[1].

المطلب التاسع: الثقة بالله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤]

الثقة بالله خصلة قلبية عظيمة نتائجها جليلة كما أخبر ﷺ: "إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني" فما أفضل من أن يكون الله سبحانه وتعالى معك هذه عند حسن ظنك؟! ثقة خير تجلية فقد قال: (يخبر تعالى عنهم أنهم رجعوا إلى أبيهم ﴿قَالُوا يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ يعنون: بعد هذه المرة إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين، فأرسله معنا نكتل. وقرأ بعضهم: (يكتل) بالياء، أي يكتل هو، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ أي: لا تخف عليه فإنه سيرجع إليك، وهذا كما قالوا له في يوسف ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، ولهذا قال لهم: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل، تغيبونه عني، وتحولون بيني وبينه؟ "فالله خير حافظا" وقرأ بعضهم: "حافظ"، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: لم يزل كذلك لا يزال، وأرجو من الله أن يرده علي، ويجمع شملي بهم إنه أرحم الراحمين)[2].

(أي خير حفظا منكم، فإن حفظه الله سلم وإن لم يحفظه أحد فهو سالم، وأنتم قد سلمتم أخاكم من قبل كما سلمتم أخاه من قبل، ولذلك لم يراجعوه في شأنه)[3]

1 حافظ، القصص القرآني، ص66-67.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص398.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص16.

فلما حان قدر الله تعالى رد سبحانه إليه بذيه وعيذيه ليمتع ناظريه بهما، فعاقبة الثقة كما أشرنا آنفاً هي تحقيق الرب لمطلب عبده.

المطلب العاشر: الترغيب في رحمة الله ولطفه بالعبد.

وتتجلى رحمة الله تعالى بأنبيائه -عليهم السلام- منذ بدء الخليقة، فهاهو آدم عليه السلام عصي ربه فتكون رحمة الله لآدم بأن يغفر له، وها هو موسى عليه السلام يدعو ربه قائلاً: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾ [الأعراف/151] وذلك عندماأراد دعوة قومه إلى عبادة الله سبحانه فاتخذوا العجل من دون الله، فكانت الرحمة لموسى وأخيه، والذلة والمهانة لقومه، وهذا من تمام رحمة الله تعالى، فسيدنا محمد -ﷺ- بعث رحمة للعالمين وهذا من تمام رحمة الله تعالى وعدله وفضله ولطفه بأوليائه أن جعل محمداً -ﷺ- ومن سبقه من إخوانه المرسلين رحمة للعالمين، وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول لأبيه: "أمنة مني ورغم إعراض أبي إبراهيم عن دعوة إبراهيم عليه السلام لك أن أعاودك فيما كرهت ولن يمسك مني مكروه ولا أذى، وقسوة قلبه وموقفه الرافض لكل ما هو مؤدٍ للتوحيد، وسأسأل لك ربي أن يستر عليك ذنوبك بعفوه ولا ورغم لطف إبراهيم عليه السلام بطلب الدعاء والاستغفار لأبيه، يعاقبك عليها، إن ربي عهدته بي لطيفًا يجيب دعائي إلا أن أباه ولى مستكبرًا كأن لم يسمعها، ولكن إبراهيم إذا دعوته"[1].
عليه السلام المسدد بالأدب الذي ينبع قلبه بالتوحيد قال لوالده: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ [مريم/47].

وهذا مزيد لطف من إبراهيم على أبيه ومزيد رحمة من الله العزيز الرحيم.

[1] الطبري، جامع البيان، ج16، ص108، بتصرف.

وتتجلى رحمة الله تعالى بنبيه إبراهيم عليه السلام بأن وهب الله سبحانه تعالى له من ذريته مَن ينتهجون نهجه ويسلكون دربه، فكان من ذريته أن أكرمه الله بإسحاق ويعقوب عليهما السلام[1].

المطلب الحادي عشر: العزلة الإيمانية هي آخر طريق الدعوة إلى الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [مريم/48] أي: أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله ﴿ وَأَدْعُواْ رَبِّي ﴾ وأعبد ربي وحده لا شريك له، فالدعاء من أنواع العبادة ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ أي: خائبًا ضائع السعي، ويلحظ أن إبراهيم عليه السلام قد استخدم لفظ (عسى) فقال: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ لأنه واضع لله بكلامه هذا في حق سيدنا عيسى عليه السلام (عسى)، وما فيه من ضم الأنفس والمشي على الأقدام لأنها سيدوا الأنبياء بعد محمد ﷺ[2] الإجابة والإنابة بطريق التفضل منه تعالى"[3].

فإبراهيم عليه السلام من خلال حواره مع أبيه وقومه لم يجعل العزلة هي الحل الأول معهم، بل جعلها الحل الأخير بعد أن استخدم مع أبيه كل الحجج التي تثبت وحدانية الله سبحانه وتعالى وبعد أن بين له بأدب ولطف شديدين مآل الشيطان وعبادته؛ كانت العزلة هي الحل الأخير لإبراهيم عليه السلام وكأن هذه العزلة إعلان براءة صريحة منه عليه السلام الأول: المعبودات التي تعبد من دون الله سبحانه وتعالى كالأصنام وغيرها والتي حطمها إبراهيم عليه السلام فيما بعد.

---

[1] عباس، قصص القرآن الكريم، ص279، بتصرف.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص127، بتصرف.

[3] الزمخشري، الكشاف، ص639، بتصرف.

الثاني: من قومه الذين كذبوه وأعرضوا عن رسالته التي تنبذ كل ما يعبد من دون الله سبحانه وتعالى، وكأن إبراهيم وموقفه من هذا كله يصرح بأنه لا يريد أن يكون شقيًّا كما كان قومه وأبوه من قبل.

فهذه العزلة حققت لإبراهيم عليه السلام النجاة في الدنيا من الكفر وأهله، وفي الآخرة رفع درجاته عند الله سبحانه وتعالى، لأن هذه العزلة كانت من أجل التوحيد الخالص لله تعالى.

قال ابن عاشور- رحمه الله: "وضمير جماعة المخاطبين (وأعتزلكم) عائد إلى أبي إبراهيم عليه السلام وقومه، تنزيلاً لهم منزلة الحضور في ذلك المجلس، لأن أباه واحد منهم وأمرهم سواء، أو كان هذا المقال جرى بمحضر جماعة منهم. وعطف على ضمير القوم أصنامهم للإشارة إلى عداوته لتلك الأصنام إعلانًا بتغيير المنكر، وعبر عن الأصنام بطريق الموضوعية بقوله: ﴿وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم/48] للإيماء إلى وجه بناء الخبر وعلة اعتزاله إياهم وأصنامهم، بأن تلك الأصنام تعبد من دون الله تعالى وأنها مما لا يعبد فيها فزال الاعتداد بها وبعابديها وأصنامهم"[1] عند إبراهيم عليه السلام في كتاب الله سبحانه وتعالى قوله سبحانه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ ﴾ [الزخرف/26-27].

المطلب الثاني عشر: الولاء لله تعالى والبراء مما سواه.

يقول صاحب الظلال في معرض تفسيره لهذه الآية: "إن دعوة التوحيد التي تذكر لها قومه هي دعوة أبيهم إبراهيم، الدعوة التي واجه بها أباه وقومه مخالفًا بها عقيدتهم الباطلة غير منساق وراء عبادتهم الموروثة ولا مستمسك بها لمجرد أنه وجد أباه وقومه عليها، بل لم يجاملهم في إعلان تبرئه المطلق في لفظ

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، ص122.

إعلان تبرئه المطلق في لفظ واضح صريح يحكيه القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾.

ويبدو من حديث إبراهيم عليه السلام وتبرئه مما يعبدون إلا الذي فطره أنهم لم يكونوا يكفرون ويجحدون وجود الله أصلاً، إنما كانوا يشركون به ويعبدون معه سواه فتبرأ من كل ما يعبدون، واستثنى الله ووصفه بصفته التي تستحق العبادة ابتداء وهو أنه فطره وأنشأه فهو الحقيق بالعبادة بحكم أنه الموجد.
وقرر يقينه بهداية ربه له بحكم أنه هو الذي فطره، فقد فطره ليهديه وهو أعلم كيف يهديه"[1].
وتتأكد هذه القيمة أيضًا في قوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة/4].

المطلب الثالث عشر: نفي الشفاعة لمن حق عليه العذاب.

لقد أكد القرآن الكريم أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله تعالى، قال سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة/255] وأن هذه الشفاعة التي لا تكون إلا بإذن الله تعالى لا يستحقها إلا من دخل دين الإسلام، أما من مات وهو يشرك بالله تعالى فهو محروم من هذه الشفاعة، قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة/113].

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص3184.

وتظهر هذه القيمة عندما "تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه كما تبرأ نوح عليه السلام من زوجه وولده، وكما تبرأ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من أقرب أقربائه المشركين"[1]، قال تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة/٤].

"ويذكر المسلم فإذا له نسب عريق وماض طويل وأسوة ممتدة على آماد الزمان، وإذاهو راجع إلى إبراهيم لا في عقيدته فحسب بل في تجاربه التي عاناها كذلك، فيشعر أن له رصيدًا من التجارب أكبر من رصيده الشخصي وأكبر من رصيد جيله الذي يعيش فيه، إن هذه القافلة الممتدة في شعاب الزمان من المؤمنين بدين الله الواقفين تحت راية الله قد مرت بمثل ما يمر به، وقد انتهت تجربتها إلى قرار اتخذته، فليس الأمر جديدًا ولا مبتدعًا ولا تكليفًا يشق على المؤمنين، ثم إن له لأسوة طويلة عريضة إذا كان إبراهيم وهو خليل الرحمن لا يدفع أباه يوم القيامة ولا يقذفه من الخلود في النار إلا بعد أن جهد إليها وبذل الذي بينه وبين أعداء عقيدته، فهو فرع من شجرة ضخمة باسقة عميقة الجذور كثيرة الفروع وارفة الظلال الشجرة التي غرسها إبراهيم عليه السلام"[2].

المطلب الرابع عشر: التوكل على الله والإنابة إليه والإقرار بأن المرجع والمصير إلى الله تبارك وتعالى.

لقد جلى الله تعالى في كتابه العزيز هذه الصفة العظيمة، حيث بين سبحانه أن أولياءه يتوكلون عليه حق التوكل، وأنهم يعتمدون على الله تعالى في جميع شؤونهم وأحوالهم وأن محل هذا الاعتماد والتوكل القلب قال ابن عاشور -رحمه الله-: "الأظهر أن يكون هذا من كلام إبراهيم وقومه... ويحتمل أن يكون تعليمًا للمؤمنين أن يقولوا هذا الكلام ويستحضروا معانيه ليجري عملهم بمقتضاه فهو على تقدير أمر بقول محذوف، والمقصود من ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة/4].

[1] المصري، قصص الأنبياء، ص147. القول، لأن الكلام يجدد المعنى في نفس

[2] قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3542.

[3] المصري، قصص الأنبياء، ص148-149.

المتكلم به ويذكر السامع من غفلته، وهذا تتميم لما أوصاهم به من مقاطعة الكفار بعد التحريض على التأسي بإبراهيم ومن معه. والأول يكون حكاية لما قاله إبراهيم وقومه بما يفيد حاصل معانيه، فقد يكون هو معنى ما حكاه الله عن إبراهيم من قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾ [الشعراء/78-82].على الله في أمور الحياة بسؤاله النجاح فيما يصلح أعمال العبد في مساعيه، وأعظمه النجاح في دينه وما فيه قوام عيشه، ثم ما فيه دفع الضر، وقد جمعها قول إبراهيم هناك ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ وهذا جمعه قوله هنا ﴿عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾ و﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ وقوله جمعه ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى﴾ فإن والمصير مصير إن المصير هي مصير بعد الحياة ومصير بعد البعث.
التوبة وقد تضمنه قوله: ﴿وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا﴾، وعلى المعنى الثاني: هو تعليمٌ للمؤمنين أن يصرفوا توجههم إلى الله بإرضائه ولا يلتفتوا في قولهم (ربنا) إظهارهم أنهم يتضرعوا مع أنهم كل ذلك يفعلون به، فإن رضى الله مقدم على ما دونه[1].
أما معنى التوكل فيوضحه ابن عاشور- رحمه الله عند تفسيره لقوله سبحانه: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ حيث يقول: "التوكل حقيقة الاعتماد، وهو هنا مجاز في الشروع في الفعل مع رجاء السداد فيه من الله، وهو شأن أهل الإيمان، فالتوكل

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص147.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص147.

فيه من الله، وهو شأن أهل الإيمان، فالتوكل انفعال قلبي عقلي يتوجه به الفاعل إلى الله راجيًا الإعانة ومستعيذاً من الخيبة والعوائق، وربما رافقه قول لساني وهو الدعاء بذلك"[1].

وأما الإنابة: فقد قال ابن عاشور -رحمه الله في تفسيرها: "المنيب: الملازم للطاعة، ويظهر أن معنى أناب: صار ذا ذوبة، أي ذا رجوع متكرر، وأن الهمزة فيه للصيرورة، والذوبة: حصة من عمل يتوزعه عدد من الناس، وأصلها (فَعْلة) بصيغة المرة لأنها مرة من الذوب وهو قيام أحد مقام غيره، ومنه النيابة ويقال: تناوبوا عمل كذا، وفي حديث عمر ﷺ: "كان لي جار من الأنصار فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فينزل يومًا وأنزل يومًا..."[2] الحديث. فإطلاق المنيب على التائب من الشرك وعدة من أعظم الظلم. تعهد الطاعة تعهدًا متكررًا يرهب الجانب آن تترك عامل السوء ظلم مرتكبها من الظلم والذنوب يكون طاعة وملازمتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود/75] أعظم الأسباب في إحباط الآمال بجملتها، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ

المطلب الخامس عشر: النهي عن الشرك وعدة من أعظم الظلم.

وفسرت الإنابة أيضًا بالتوبة"[3].

مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:72].

وما من نبي مرسل إلا وقد بعث ليحذر قومه من الشرك ومن الذين ذكرهم القرآن الكريم واعظاً ومبيناً أظلم الظلم: لقمان الحكيم، ذكر الله تعالى لقمان بالذكر الحسن وآتاه الحكمة وأخبرنا تعالى بموعظته لابنه الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أنه يمنحه أفضل ما يعرف، فما يريد الوالد لولده إلا الخير وما يكون الوالد لولده إلا ناصحًا، ولهذا أوصاه أولاً

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص15.

2 البخاري، صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: التناوب في العلم، رقم (89). ومسلم، صحيح مسلم، كتاب: الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن...، رقم (1479).

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص95.

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان/13] أي: هو أعظم الظلم، لأن الذنوب

أي: هو أعظم الظلم، لأن التسوية بين من لا نعمة إلاهي منه وهو الله- جل جلاله- وبين من لا نعمة منه البتة، ولا يتصور أن وتبكوأن فيهنه اولهوعظا سبوالأهم الله هوتعالىنظلمرلا يالإشنره الكعظموه[1] قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أما أنه ظلم فلأنه وضع للنفس الشريف المكرم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء/70] في عبادة الخسيس، أو لأنه وضع العبادة في غير موضعها وهي غير وجه الله وسبيله، وأما أنه عظيم فلأنه وضع في موضع ليس موضعه ولا يجوز أن يكون موضعه وهذا لأن من يأخذ من مال زيد ويعطي عمرًا يكون ظلمًا من حيث إنه وضع مال زيد في يدو هنهروالآية لكلز جلبئذ الإشكالكونا لذولك قمكلفي عفهمو ألوصحيحة ملكه ببيع سابق أو بترمليك لإحق، وأما الإشراك فوضع لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام/82] فقد ورد في المعبودية في غير الله تعالى ولا يجوز أن يكون غيره صحيحو دًا الباأخلاقي[2]- رحمه الله عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله -ﷺ- وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله -ﷺ-: "إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

المبحث الثاني: قيم العبادة[3]

لقد عني القرآن الكريم بالعبادات وأحكامها، وقد شرع الله سبحانه وتعالى العبادات لتحقيق تقرب العبد لخالقه وتقويم سلوكه وتهذيب نفسه، فالغاية من خلق الإنسان: العبادة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات/56].

1 زيدان، المستفاد، ج1، ص506.

2 الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، ج25، ص147.

3 رواه البخاري، فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلا) [النساء/165]، رقم 3360، ج7 ص3920.

ولقد جاء ذكر العبادات في كتاب الله سبحانه وتعالى بكثرة مثل: الصلاة والزكاة والحج والعمرة والدعاء والاستغفار والجهاد وغيرها، ولكن الذي يلفت النظر أن هذه العبادات قد تنوعت تبعًا لأنواعها، فمنها: العبادات البدنية، والعبادات المالية، والعبادات القلبية. وهذا وبعض الحكم التي بتضمنتها وسوف نقف على أهم هذه العبادات مع الأدلة من الكتاب والسنة، ونتناولها في مبحث خاص بها، ونختم كل مبحث بالحديث عن الآداب والخشوع المشروعة لكي يتقرب العبد من خالقه.

المطلب الأول: الدعاء.

إن الله عز وجل جعل الدعاء عبادة يتقرب بها اليه كما قال جل وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر/60] وقال النبي ﷺ: "الدعاء هو العبادة"[1] والدعاء اتصال مباشر بالله ودليل على أن الله جل وعلا لا يحتاج إلى وسائط، فما أن ترفع يديك بالدعاء إلا وكانت الاستجابة ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/186] والدعاء دعاء من لا يغلق بابه ولا تنفد خزائنه ولا يمل من الاستجابة، بل جعل من الدعاء دعاءً لا يرد كما قال النبي ﷺ: "ثَلاثٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ"[2] والدعاء دليل على افتقار العبد الى الله وضعف العبد وتعلقه بالله، حتى

---

1 أخرجه الترمذي في سننه، ج5، ص211، وقال: حسن صحيح.

2 أخرجه الترمذي في سننه، ج5، ص578 وقال: هذا حديث حسن.

ولقد جاء ذكر العبادات في كتاب الله سبحانه وتعالى بكثرة مثل: الصلاة والزكاة والحج والعمرة والدعاء والاستغفار والجهاد وغيرها، ولكن الذي يلفت النظر أن هذه العبادات قد تنوعت تبعًا لأنواعها، فمنها: العبادات البدنية، والعبادات المالية، والعبادات القلبية. وهذا وبعض الحكم التي بتضمنتها وسوف نقف على أهم هذه العبادات مع الأدلة من الكتاب والسنة، ونتناولها في مبحث خاص بها، ونختم كل مبحث بالحديث عن الآداب والخشوع المشروعة لكي يتقرب العبد من خالقه.

المطلب الأول: الدعاء.

إن الله عز وجل جعل الدعاء عبادة يتقرب بها اليه كما قال جل وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر/60] وقال النبي ﷺ: "الدعاء هو العبادة"[1] والدعاء اتصال مباشر بالله ودليل على أن الله جل وعلا لا يحتاج إلى وسائط، فما أن ترفع يديك بالدعاء إلا وكانت الاستجابة ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/186] والدعاء دعاء من لا يغلق بابه ولا تنفد خزائنه ولا يمل من الاستجابة، بل جعل من الدعاء دعاءً لا يرد كما قال النبي ﷺ: "ثَلاثٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ"[2] والدعاء دليل على افتقار العبد الى الله وضعف العبد وتعلقه بالله، حتى

---

1 أخرجه الترمذي في سننه، ج5، ص211، وقال: حسن صحيح.

2 أخرجه الترمذي في سننه، ج5، ص578 وقال: هذا حديث حسن.

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف/101] و قال زكريا ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنبياء/89]، و بعد هذا الموجز عن هذه القيمة فلا بد لي أن أقف على سياقات هذه القيمة التي تضمنتها حوارات الآباء مع الأبناء والتي وجدتها مبثوثة في توجيه حوارات الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه، ونوح عليه السلام مع ابنه، وإليك بيان ذلك:

المغفرة والرحمة منه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود/47].

"هذا دعاء سيدنا نوح عليه السلام لربه بعد أن تاب إلى ربه عن مسألته التي سألها- والمسألة هي أنه نادى نوح ربه فقال: رب إنك قد وعدتني أن تنجيني وأهلي من الغرق والهلاك، وأنت أحكم الحاكمين بالحق فقال الله تعالى له: إن ابنك الذي أغرقته ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم، فقال نوح حيث تاب إلى ربه: إني أعوذ بك أي: أستجير بك أن أتكلف سؤالك فيما ليس لي به علم، وما لم يؤذن لي فيه، وإلا تغفر لي ما كان مني في مسألتي إياك ما ليس لي به علم، وترحمني بأن تعصمني من أن أعود لمثله، وتتوب علي بقبول توبتي، أكن من الخاسرين في الدنيا والآخرة بفوات ما أملته من نجاة ولدي، وهذا الدعاء من نوح عليه السلام يعلمنا أسلوب الدعاء والتوجه إلى الله تعالى وطلب العون منه، فلم يكتفِ نوح عليه السلام بنصحه لابنه بل استعان بالله عز وجل بدعوته وطلب الدعاء له كما أن هذا الأسلوب الرائع في التوجه بالأمل من الله سبحانه وتعالى لعل الله يرزقهم الطاعة والاستقامة فيسعدون في الدنيا والآخرة، وهو أسلوب يتبعه الآباء مع أبنائهم في كل زمان ومكان"[1].

و هذا الدعاء الضارع من نوح عليه السلام يعلمنا أسلوب الآباء في تربية أبنائهم وتوجيههم، وهو أسلوب رائع في غاية الروعة في رعاية الأب لأبنائه، وهو أسلوب التوجه إلى الله تعالى وطلب العون منه، فلم يكتفِ نوح عليه السلام بنصحه لابنه بل استعان بالله عز وجل بدعوته وطلب الدعاء له كما أن هذا الأسلوب الرائع في التوجه بالأمل من الله سبحانه وتعالى لعل الله يرزقهم الطاعة والاستقامة فيسعدون في الدنيا والآخرة، وهو أسلوب يتبعه الآباء مع أبنائهم في كل زمان ومكان[2].

المحبة والألفة بين الأب وأبنائه، وإن لم يكن حصل هذا

[1] قباني، فقه الدعاء في القرآن الكريم، ص100.
[2] قباني، فقه الدعاء في القرآن الكريم، ص105.

حصل في قصص بعض الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام حين كانوا يدعون لأبنائهم، ومنهم إبراهيم عليه السلام الذي دعا لنفسه وذريته ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [إبراهيم/40] فهذا الدعاء من إبراهيم عليه السلام والتوجه إلى الله تعالى كان سببًا لإنجاب ذرية صالحة هما: إسماعيل وإسحاق –حفظهما الله– والدعاء للأهل والذرية من خلال بيان صفات عباد الرحمن المتقين ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان/74].

ب- اللجوء إلى الله بالدعاء في حال رعاية الأنبياء لأبنائهم وتربيتهم أن يحييهم على التوحيد ويميتهم على التوحيد وأن يجنبهم الشرك وأن يحافظوا على العبادات كما في دعاء إبراهيم ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة/126-129]

وقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [إبراهيم/37-40].

"إن الظفر بأولاد يقومون بحقوق الله ربح عظيم، ومن عظمة الإيمان في قلب الخليل أن تكون أمنيته ذرية صالحة. إن غيره يطلب لذريته الغنى أو الرياسة، أو ما شاع من استكثار الوجاهة لذرية أو مال، والخليل يرضى بالذرية فلا اكتراث به.. لكن أنبياء الله لهم شأن أعلى"[1].

قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم/47] ﴿وَأَدْعُو رَبِّي﴾ [مريم/48] و ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات/100] ومن حسن الدعاء أن يجمع الإنسان بين خيري الدنيا والآخرة وبين الطمع في رحمة الله والاستعاذة من عذابه ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء/82-89].

وذريته من بعده، وهاهو إبراهيم عليه السلام يتوجه بدعاء رخي وذرية الصدق إلى الله سبحانه وتعالى لا يريد عرض الدنيا ولا زينتها وهذا الدعاء من إبراهيم عليه السلام فيه ارتفاع إلى الآفاق لأنه متوجه من الأرض إلى السماوات، وهذا الدعاء نابع من القلب ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ [الشعراء/83] فسيدنا إبراهيم عليه السلام وهو النبي يظهر تواضعه لله أعطني الحكمة التي أعرف بها القيم الصحيحة والقيم العظيم، وما أجملها من دعوة أن يقول: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ الزائفة فأبقى على الدرب يصلني بما هو أبقى.

﴿٨٣﴾ وهذه العبارة الرائعة التي تدل على حرصه أن يكون في زمرة الصالحين مع أنه عليه السلام نبي كريم وهو سيد ثم تأتي دعوته المخبأة في قلبه لتتحسد قولاً على لسان صدق في الآخرين ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء/84]، فهو يطلب إلى ربه أن يجعل له فيمن يأتون أخيرًا لسان صدق يدعوهم إلى الحق ويردهم إلى الحنيفية السمحاء، ويا لجمال ما دعا له عليه السلام فهو محب للخير ليس لنفسه فحسب بل لمن بعده ولمن بعده، فهو يدعو الله تعالى أن تكون الأمة من بعده على حنيفية سمحاء، فأي تربية بعد هذه التربية،

[1] الغزالي، محمد، فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، ص43.

تربية بعد هذه التربية، وأي خلق نحن منه الآن، فيا لدماثة هذا النبي، ويا لتواضعه، ويا لحبه في الخير للناس.

ثم يأتي دعاؤه عليه السلام ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥﴾ [الشعراء/85]، وهذا الدعاء الصادق له مساس مباشر مع دعائه عليه السلام ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣﴾ فالذي يريد أن يكون صالحًا يدعو أن يكون مع الصالحين ويعمل بعملهم وهذا ما كان ديدن إبراهيم عليه السلام ثم فقد أتى عقب دعائه عليه السلام الدعاء بقوله ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ٨٥﴾ كذلك خير الآخرة بأن يكون من الصالحين وفي جنات النعيم، فأكرم عليه السلام بذلك الأب النبي من أن يدع ذلك الدعاء من قبل والده إلا أن إبراهيم عليه السلام يلين قلبه ويستغفر ربه لوالده على موعدة وعدها إياه، ولكن الفارق أن الحق لا يجامل به على حساب النسب والقرابة وغيرهما من الروابط، وعندها يأتي الرد الحاسم والقاطع أن إبراهيم عليه السلام بريء من الشرك وأهله ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾ [التوبة/114].

ثم يأتي طلبه عليه السلام أن لا يخزيه ربه يوم البعث خوفًا من تقصيره،، وهو النبي الكريم - عليه وعلى نبينا أفضل التسليم - ويبين أنه لا ينفع شيء من القيم الزائفة من الولد والمال إلا من جاء بقلب طاهر نقي وبأعمال صالحة سليمة[1].

المطلب الثاني: الوصية.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة/132].

وقد وجدت هذه القيمة العبادية في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبنائه، وحوار لقمان مع ابنه، وإليك بيان ذلك:

1 قباني، فقه الدعاء في القرآن الكريم، ص175-178، بتصرف.

+ وصية إبراهيم عليه السلام ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة/132]، ولا بدّ لي قبل أن أعرض لقيمة الوصية أن أذكر معنى الوصية اصطلاحًا: فهي إرشاد غيرك إلى ما فيه خير وصلاح له من قول أو فعل في الدين أو الدنيا، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾ نهي عن ترك الإسلام، وأمر بالثبات وقد عرض القرآن الكريم لمعنى الوصية، ووجدتها عليه ذو يدين الموت[1].

النوع الأول: الوصية بأعمال الدين، وهي على عدة صور، منها:

1- الوصية بتقوى الله.

والوصية بتقوى الله لم تكن قاصرة على الرسول محمد عليه السلام والذين آمنوا معه فقط، بل كانت أمرًا من الله لأهل الكتاب السابقين لنزول القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ [النساء/131].

2- الوصية بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة: ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [مريم/31]، وصى الله سبحانه وتعالى نبيه عيسى عليه السلام وهو في المهد ونطق بها.

وهذه هي الفطرة السليمة التي فطر الله الأنفس عليها وقت الخلق.

3- الوصية بالإحسان بالوالدين: هذه وصية عظيمة من الوصايا التي ذكرت في القرآن الكريم وقد وصى بها رب العزة الإنسان في كل زمان وفي كل مكان بالإحسان إلى الوالدين ومعاملتهما معاملة طيبة بالحسنى، ويذكر الله تعالى الإنسان بما فعلته أمه وما تحملته من أجله

1 الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، سوريا- دمشق، ط2، 1418هـ، ج1، ص317.

و هذه وصايا عظيمة، يقول تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت/8]، ويقول

مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت/8]، ويقول تعالى أيضًا ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان/14]، وقوله تعالى أيضًا: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا... ﴾ [الأحقاف/15].

4- الوصية باجتناب المحرمات التي نهانا الله عنها مذكورة في ثلاث آيات متتالية في سورة الأنعام، يقول تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام/151-153].

5- الوصية بإقامة الدين، فيقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى/13].

أما ما يهمني في موضوع رسالتي فهو ما أوصى به إبراهيم عليه السلام أبناءه وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة/132]، ونجد في هذه الآية أن الله تعالى ذكر ما وصّى به إبراهيم ويعقوب - عليهما السلام - أبناءهما وأنه قد اختار لهم الدين وهو الإسلام فأوصاهم بالبقاء حتى نهاية العمر على ملة الإسلام وعند الموت، والوصية تكون ساعة اقتراب الأجل وفي نهاية العمر ويؤكد هذا المعنى الآية التالية لها وهي

لها وهي قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة/133].

النوع الثاني: الوصية المتعلقة بالأمور المادية.

وهي أوامر الله تعالى للمؤمنين في المعاملات المادية وخصوصًا في الميراث، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء/11]، ومنها وصية الله تعالى للزوجة يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ... ﴾ [البقرة/240] ومنها الوصية للوالدين والأقربين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [البقرة/180]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ... يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان/13-19].

وعند استقراء هذه الآيات في سورة لقمان وجدت أن الوصية الشرعية في هذا الحوار تشتمل على أنواع وهي:

أولاً: وصية لقمان لابنه بعدم الإشراك بالله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: وصية الله سبحانه وتعالى للإنسان بالإحسان إلى الوالدين: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان/14].

ثالثًا: وصيته سبحانه بعدم طاعة الوالدين إلا بالمعروف، ووجوب مصاحبتهما في الأمور الدنيوية التي لا تتعلق بأمور الدين.

رابعًا: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [لقمان/15] ويوصي سبحانه وتعالى المؤمن بأن يسلك طريق الصالحين وخطاهم، كما يجب عليه أن يسلك طريق الذين تابوا ورجعوا إلى الله سبحانه وتعالى.

خامسًا: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان/16]. في هذه الآية الكريمة، ما زال لقمان يغرس في ابنه من الوصايا النافعة الجامعة، لتكون نبراسًا يقتدى به، ويعرفه بأسماء الله تعالى وصفاته – المعبود الحق الذي ينبغي أن يراقب في السر والعلن، وأن يعظم في النفوس، فتكون الأعمال كلها لله، وبأمر الله، لأن الله لا يخفى عليه شيء منها، صغيرها وكبيرها، حسنها وسيئها، لأنه وانهي عن المنكر ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان/17].

المطلب الثالث: الاعتراف والإقرار بنعم الله تعالى باستحضارها وبيان جميل الله تعالى وفضله.

قال تعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١﴾ [الشعراء/77–81]، وقال تعالى عن سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف/100].

وهاهو إبراهيم عليه السلام وابن حفيده يوسف عليه السلام يمتدان بمزيد الشكر وعظيم المنة لله سبحانه وتعالى، وهاهما ينسبان الفضل له وحده سبحانه، فإبراهيم عليه السلام بعد الصراع الطويل مع أبيه وقومه ودعوته لهم يمتن لله سبحانه وتعالى بأن جعله على الحنيفية والتوحيد، فها هو عليه السلام ينسب الهداية لله سبحانه وتعالى قائلا: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨﴾

الهداية لله سبحانه وتعالى قائلاً: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١﴾ [الشعراء/78-81].

ويا لجميل ما قال عليه السلام فهو لم يعتبر هدايته نعمة فحسب، بل إن خلقه نعمة كذلك، فلم يقل: الذي هداني، بل قدم خلقه على هدايته؛ لأنه كما يحب أن يشكر الله على هدايته وتوفيقه على التوحيد فإنه يحمد الله أن خلقه عابدًا لله سبحانه، وهذا مزيد أدب منه عليه السلام ومزيد اعتراف جلي للمتدبرين، وما يزال عليه السلام يعدد النعم ويشكر الخالق الذي ﴿يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠﴾ فكأنه يلمح لقومه أن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع ولا تقدم ولا تؤخر في ميزان الحق، ولذلك قال في مطلع كلامه عن شكر الله ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء/77]، فهذا حال إبراهيم عليه السلام الذي جاء وصفه من الله تعالى جاحدًا كذابًا فاقدًا حقوق ربوبيته: ﴿شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٢١﴾ [النحل/121].

أما يوسف عليه السلام فهو كذلك من الشاكرين على نعم كثيرة، وجعلها حقًا، وكذلك يشكر الله أن حفظه من كيد إخوته، وجعل سبحانه هذا الكيد يتحول فيما بعد إلى ألفة بين الإخوة، ويشكر الله سبحانه وتعالى أن حفظه من مكر امرأة العزيز، وأن مكنه سبحانه وتعالى وجعله على خزائن الأرض ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف/100] فإنه عليه السلام أضاف لفظ اللطف إلى صفة الله (الربوبية) فكأنه يقول: هو ربي الذي لطيف بي كذلك.

ويا لروعة ما استخدم إبراهيم عليه السلام لفظ الشكر في وصف ربه، وإنه بذلك الأنبياء والمرسلين ودينهم، ولقد عرض القرآن الكريم نماذج من شكر الأنبياء - عليهم السلام - ومن ذلك موسى عليه السلام حين وصل إلى مدين وسقى للفتاتين وجلس يستظل تحت ظل شجرة تذكر حينها نعمة الله عليه، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَىَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ۝٢٤﴾ [القصص/24].

ومن الذماذج التي عرضها القرآن الكريم، وفيها امتذان لله تعالى: يونس عليه السلام الذي كان ممتذًا لله سبحانه ومسبحًا بحمده ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء/87].

وكذلك سيدنا سليمان عليه السلام حين جيء له بعرش ملكة سبأ وقد نسب الفضل لربه وخالقه، فقال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل/40].

المطلب الرابع: وجوب بر الوالدين حتى مع كفرهما في غير معصية الله عز وجل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان/14-15].

ويمكن لي من خلال النظر في هاتين الآيتين الكريمتين أن أقسمهما إلى محورين: الأول: وجوب بر الوالدين في حدود المعروف.

ويتضح هذا المحور في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[لقمان/14].

لقد اعتنى القرآن الكريم بالوالدين وأفرد لهما مساحات واسعة بالوصية بهما واحترامهما وتوقيرهما بما يقل من شأنه الأولاد من أذكر آية الوصية بهما الوالدين قد جاءت بعد العبادة لله سبحانه وتعالى، وهذا السياق القرآني لم يأت عبثًا وإنما جاء ليدلل ويبرهن لما للوالدين من شأن ومنزلة عاليين عند الله سبحانه وتعالى.

وقد أوصى الله سبحانه وتعالى في كتابه ببر الوالدين فقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء/23-24].

وكانت من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جاءت الوصية بالوالدين في سياق وصايا لقمان لابنه، ولعلي ألحظ في ذلك ملحظًا حكيمًا من الله سبحانه وتعالى بالعناية والاهتمام بالوالدين وجعل ذلك متضمنًا في سياق هذه الوصايا من لقمان وصية أخرى من رب لقمان بأن يهتم لقمان ومن بعده بوالديه يقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[لقمان/14].

ويلحظ في هذه الوصية أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر الوالدين، ولكنه خص الأم بالذكر فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ مع أنه سبحانه ذكر الوالدين، ولكن ذكره للأم له أسبابه فقد حملت الأم جنينها وهنًا على وهن "والتعبير يشير ما إلى دلالة الوهن على الوهن كلما تقدمت الأم في الحمل ثم ما أحضعته مع ذلك من الرجل الذي سيكون وفيما ذلك من الجهد الذي يستدعي الناس فيه بحسن الصحبة وجب؟ وزيادة ثلاث "ثم أبوك"- مرة[2].

ثم يلحظ في نهاية الآية أن سبحانه قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ فكأنما الوصية بالوالدين هي شكر الله أولاً ثم شكر الوالدين وهذا من لطائف الإعجاز القرآني[3].

---

[1] قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص200.

2 البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة؟، رقم (5626). ومسلم، صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنهما أحق به، رقم (2548).

[3] قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص200، بتصرف.

الثاني: عدم طاعة الوالدين في معصية الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ ﴾ [لقمان/15].

لقد أمر القرآن بطاعة الوالدين وعدم عصيانهما فيما يرضي الله تعالى ورسوله -ﷺ-، وأما إذا تعدى الأمر بالإشراك والكفر بالله عز وجل أو برسوله ﷺ فإن الإسلام يأمرنا ألا نطيعهما وإنما مصاحبتهما بالمعروف، وهذا ما يلحظ في سورة لقمان المكية التي أمرت بمصاحبتهما بالمعروف وهذا ما كان يحصل في مكة المكرمة، ويلفت القرآن الكريم النظر في آية أخرى مدنية جاءت في سورة العنكبوت بالإحسان بالوالدين ولم تذكر المصاحبة بالمعروف بل قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ [العنكبوت/8]. فالذي لم يرد انفصال مفاصلة شعورية فحسب، أما في المدينة فقد انفصل المجتمع المسلم انفصالاً كاملاً وصار له تميزه الحسي والمعنوي"[1].

المطلب الخامس: إقامة الصلاة.

لقد عني القرآن الكريم بالصلاة وذلك لأنها تمثل ثاني أركان الدين الحنيف وهي صلة بين العبد وربه وقد أمر الله بها فقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ﴾ [البقرة/43] وأمر بالاستعانة بها فقال: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ٤٦ ﴾ [البقرة/45-46] ومهما تكلم المتكلمون في الصلاة فلن يعطوها حقها، ولا يكاد ركن من أركان الدين يذكر في كتاب الله تعالى إلا ويربط بالصلاة وذلك لأهميتها وشأنها عند الله سبحانه وتعالى، فالزكاة مثلاً مرتبطة

[1] قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص201.

عند الله سبحانه وتعالى، فالزكاة مثلاً مرتبطة بإقامة الصلاة يقول سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة/43]، وكذلك الصيام فقد اقترن بالصلاة يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة/187]، وكذلك ركن الحج قال تعالى: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ وأما الجهاد فقد تحدثت عن اقترانه بالصلاة الآيات [البقرة/125].

(39-41) من سورة الحج: قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج/39-41].

ولقمان الحكيم بعد أن رسخ في نفس ابنه أصول العقائد ينتقل معه إلى أصول العبادات والطاعات، وقد بدأ بالصلاة وإقامتها ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان/17]؛ لأن الصلاة تهذب النفس على الأخلاق، وهذا ما يتضح من سياق الآيات التي تلي إقامة الصلاة، فسبحانه يقول: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ [لقمان/17]، فالصلاة تعلم الإنسان عمل المعروف والخير وتنهى عن الفحشاء، وصدق الله العظيم إذ يقول في آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت/45]، وكذلك فإن الصلاة تعلم الصبر فالذي يتحمل أن يأتي للصلاة ويتم ركوعها وخشوعها فهو من الصابرين، وقد خاطب الله جل جلاله نبيه ﷺ بأن يصبر على الصلاة ويصبر أهله عليها قائلاً: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه/132].

وقد كان للمفسرين- رحمهم الله تعالى- أقوال في بيان إقامة الصلاة وتعليم لقمان لابنه لهذا الركن فمنهم من قال: (أقم الصلاة) أي: "أتقنها وحافظ عليها تكميلاً لنفسك"[1]. ومنهم من قال: "أي أدها بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها"[2].

[1] ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، البحر المديد، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط2، 8م، 1423هـ-2002م، ج5، ص559.

2 الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، السعودية-المدينة المنورة، ط5، 1424هـ/2003م، ج4، ص208.

المبحث الثالث: القيم التربوية

رسم القرآن الكريم معالم المنهج التربوي من خلال طرح الأساليب المختلفة التي تربي جيلاً يافعًا، ومن تلك الأساليب مثلاً لا على سبيل الحصر: التربية بالقدوة من خلال اختيار نماذج صالحة ومصلحين لأمتهم، وعلى رأس هؤلاء وفي مقدمتهم الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– فهم صفوة الصفوة، وقد ربوا أقوامهم ومن دعوهم بأخلاقهم التي هي عماد التربية وصنوها وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام/90]، ولعلنا نحن المسلمين لنا القدوة في وتلعبي تمنا أوسأخلاقنا الفتي ربايتمربي لقدوالأة أسيدوبه ملامحمد ﷺ الذي ربىنى جيلاً بالحرجية أملة إقناعها اولتي هيق أحسن١٠ العظيم إذ قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب/21]. مع أقوامهم ومن دعوهم هذا الأسلوب ومنهم محمد ﷺ، فها هو يستخدم هذا الأسلوب الرائق تارة مع المشركين لأقامة الحجة عليهم وتارة يستخدمه مع صحبه ليبين لهم أمور دينهم وليعزز فيهم روح الإيمان، فتخرج من هذه المدرسة التربوية الصديق والفاروق والجراح والزهراء وغيرهم من المربين الفضلاء الذين أصبحوا فيما بعد قدوة لأمتهم كما كان محمد ﷺ قدوة لهم.

وفي هذا المبحث سأقف مستعينًا بالله تعالى على أهم القيم التربوية التي تضمنتها حوارات الآباء مع أبنائهم في كتاب الله العزيز والتي كانت على النحو التالي:

المطلب الأول: نصح الآباء للأبناء وتوجيههم ووعظهم.

وقد وجدت هذه القيمة مبثوثة في حوارات نوح عليه السلام وابنه، وإبراهيم عليه السلام وأبنائه، ويعقوب عليه السلام وأبنائه، ونصح الأبوين الصالحين لابنهما الكافر، وإليك تفصيل ذلك:

١- نصح نوح عليه السلام لابنه:

«ويظهر نصح نوح عليه السلام لابنه عندما ذهب عليه السلام لذلك الابن وهو يجلس في معزل لا يريد الانضمام إلى جماعة المؤمنين، ولكن المربي الفاضل نوحًا عليه السلام رغم هذا العصيان من ذلك الابن يخاطبه ناصحًا له بشفقة وحنو الأبوة ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ [هود/42] وهذا الخطاب الأبوي من أرقى أنواع

أرقى أنواع الخطابات، لأن فيه الشفقة الأبوية المصحوبة باللين، وكأنه يقول له بحق الأبوة: ألا تموت إلا وأنت على الإيمان، ولذلك تضمن النصيحة أغلى ما يملكه الأبناء من ذلك النبي الكريم؛ لأن الإيمان أثمن وأغلى من كل شيء، ولكن هذا النداء الناصح لم يكن له لذة في قلب ابن نوح عليه السلام فختم على قلبه، وأبى النصيحة فكان من المهلكين»[1].

ب-نصح إبراهيم عليه السلام أبناءه بالثبات على الدين:

ويظهر هذا النصح من إبراهيم عليه السلام من خلال وصية قليلة الكلمات شاسعة المعاني والآفاق ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة/132]، فها هو إبراهيم الذي تربى على الحنيفية الحقة يرسخ ويربي ويعظ أبناءه وهو في الاحتضار على الثبات على الإسلام والموت عليه، ومن جميل قوله وشديد حرصه أن قدم الموت في كلامه ونصحه على الإسلام، وفي ذلك مغزى عظيم وكأنه يلمح لهم أنكم كما حييتم ونشأتم وتربيتم على الإسلام فنصحي لكم ألا تتخلوا بعد موتي عن ذلك، فصلاح الدارين هو والإسلام هذه الوصية الجليلة، ولقد صرح بهذا المعنى إبراهيم عليه السلام فالبغوي رحمه الله عز وجل في تفسيره لهذه الآية: "والنهي يرجع في ظاهر الكلام إلى الموت، والمراد النهي عن ترك الإسلام، لأن الموت لا يصادفكم إلا وأنتم مسلمون"[2].

وأوصى بها إبراهيم عليه السلام بنيه فقال: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة/132]، فها هو إبراهيم الذي تربى على الحنيفية الحقة يرسخ ويربي ويعظ أبناءه وهو في الاحتضار على الثبات على الإسلام والموت عليه، ومن جميل قوله وشديد حرصه أن قدم الموت في كلامه ونصحه على الإسلام، وفي ذلك مغزى عظيم وكأنه يلمح لهم أنكم كما حييتم ونشأتم وتربيتم على الإسلام فنصحي لكم ألا تتخلوا بعد موتي عن ذلك، فصلاح الدارين هو والإسلام هذه الوصية الجليلة، ولقد صرح بهذا المعنى إبراهيم عليه السلام فالبغوي رحمه الله عز وجل في تفسيره لهذه الآية: "والنهي يرجع في ظاهر الكلام إلى الموت، والمراد النهي عن ترك الإسلام، لأن الموت لا يصادفكم إلا وأنتم مسلمون"[2].

وأوصى بها إبراهيم عليه السلام بنيه فقال: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة/132]، فها هو إبراهيم الذي تربى على الحنيفية الحقة يرسخ ويربي ويعظ أبناءه وهو في الاحتضار على الثبات على الإسلام والموت عليه، ومن جميل قوله وشديد حرصه أن قدم الموت في كلامه ونصحه على الإسلام، وفي ذلك مغزى عظيم وكأنه يلمح لهم أنكم كما حييتم ونشأتم وتربيتم على الإسلام فنصحي لكم ألا تتخلوا بعد موتي عن ذلك، فصلاح الدارين هو والإسلام هذه الوصية الجليلة، ولقد صرح بهذا المعنى إبراهيم عليه السلام فالبغوي رحمه الله عز وجل في تفسيره لهذه الآية: "والنهي يرجع في ظاهر الكلام إلى الموت، والمراد النهي عن ترك الإسلام، لأن الموت لا يصادفكم إلا وأنتم مسلمون"[2].

المؤمنين قائلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران/102].

---

[1] المطيري، حوار الآباء مع الأبناء، ص94-95، بتصرف.

2 البغوي، معالم التنزيل، ج1، ص154.

ومن سنة نبينا ﷺ قوله: «فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر»[1].

ومثل ذلك قول رسول الله ﷺ موصيًا سفيان بن عبد الله رضي الله عنه: «قل آمنت بالله ثم استقم»[2].

وقد امتاز أسلوب إبراهيم عليه السلام بمميزات تربوية كان لها وقع في قلوب أبنائه، منها: استخدام أسلوب النداء الذي فيه شفقة الأب وحنوه، كما امتاز أسلوب إبراهيم عليه السلام بالتذكير بأن الله اختار لهم الدين فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ [البقرة/132]. وأسلوب النصح بالتذكير له فوائد تربوية جمة، منها: الدفاع عن الدين، وتثبيت الفكر، وتسلية للأبناء، ومن بديع فعله عليه السلام أنه لم يقصد نصحهم في حال صغرهم، بل كان يتوخى نصحهم في كل حال فها هو ينصحهم عند كبرهم وهذا ليس عيبًا في الآباء ولا الأبناء، فلربما ينشغل الإنسان المؤمن بالدنيا قليلا ولكن تذكيره بآيات ربه تجعله يعود إلى رشده وطاعته لربه مباشرة، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات/55]. أو يدخل أن ينصح ابنه محتجًا أن هذا الابن قد كبر سنه أو قد يحتج بأن نبينا ﷺ لم يكن هديه كذلك، فقد لخص- رضي الله عنه- الدين بكلمات موجزات بحجمها لكنها كبيرة بمعانيها بقوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[3] وفق هدي نبينا ﷺ، وإذا كان الآباء يحتجون بأن أبناءهم قد كبروا ولا يستطيعون النصيحة لهم، "فقد كان ﷺ ينصح ويعظ ابنته الحبيبة فاطمة الزهراء وهي في بيت زوجها علي رضي الله عنه، فهذا سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يزجر ابنته الصديقة وهي في بيت رسول الله ﷺ، وكذلك الفاروق رضي الله عنه ينصح ابنته حفصة وهي في بيت النبي ﷺ، والسؤال الذي يطرح نفسه: بعد هذا الكلام كله

[1] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، رقم4753، ج6، ص476.

[2] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، رقم158، ج2، ص92.

3 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَان أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، رقم194، ج2، ص116.

نفسه: بعد هذا الكلام كله هل كان أولئك أحسن وأزكى من أزواج الرسول ﷺ وبناته؟! والجواب لا ورب الكعبة"[1].

ج- نصيحة يعقوب عليه السلام لأبنائه قبل الممات.

تظهر هذه القيمة أيضًا وتتواصل متجذرة عند ذلك المربي الفاضل يعقوب عليه السلام فهو يسير على درب جده إبراهيم عليه السلام، وما أعظم ذلك الدرب وما أشرفه! فقد كان سيدنا يعقوب عليه السلام كجده وجدنا إبراهيم عليه السلام ينصح ذريته وأبناءه في ساعة الاحتضار كما نصح إبراهيم ذريته كذلك في ساعة الاحتضار بالوصية نفسها: الثبات على الإسلام، وكأن التربية التي تربى عليها إبراهيم يتربى عليها يعقوب وذريته، وتتربى نحن أمة محمد ﷺ عليها، فيعقوب عليه السلام لا يشغل بظهاله نا خطرق صلاحة ذرية يعقوب عليه السلام كطيب من تربيتهم لأبنائهم لا يزول، ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة/133]، لكن يشغل بالهم أبناءه قضية الثبات والعبادة لله سبحانه، قائلاً لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾ [البقرة/133]، فيا لروعة جوابهم! فهم لم يكتفوا أن يقولوا ليعقوب عليه السلام بل أضافوا لها ما كان عليه جدهم وجدنا إبراهيم عليه السلام، وهذا يؤكد معين مذبتهم وصدق مربيهم "إنهم يعرفون دينهم ويذكرونه، إنهم يتسلمون التراث ويصدونه، إنهم يطمئنون الوالد المحتضر ويريحونه، وكذلك ظلت وصية إبراهيم لبنيه مرعية في أبناء يعقوب عليه السلام، وكذلك هم ينصون نصًا صريحًا على أنهم مسلمون"[2].

د- نصح الأبوين الصالحين لابنهما الكافر.

تظهر هذه القيمة وتتجلى في أفضل نموذج يقتدي به الإنسان ويتعلم وهما، الأبوان فلم تأت النصيحة لهذا الولد العاق الكافر من أحد كأعمامه أو أصدقائه أو غيرهما من الناس وجاءت هذه النصيحة في أبهى وأعظم موضوع يدعى إليه الإنسان وهي عبادة الله وتوحيده وهي الغاية التي خلق الخلق من أجلها يقول

1 إلهي، فضل، إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- أبًا، مؤسسة الجريسي، الرياض، 1م، ط2، 1422-2001، ص58-60، بتصرف.

2 قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص116.

السامية التي خلق الخلق من أجلها يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات/56] وقد جاءت هذه النصيحة مصحوبة بالتهديد الشديد والنصيحة من كلا الأبوين كانت مقرونة بالاستعانة والاستغاثة بالله تعالى، وهذا من أدب الأبوين الصالحين ولكن موقف ذلك الابن كان عقوقاً تقشعر منه الأبدان ومزيدًا من التأفف والتضجر وإنكارًا للبعث متحججًا بتلك القبور التي قد خلت بها سني الزمن ولم يخرج منها أحد، ولكن الأبوين مع هذه السخرية والتكبر يبينان له صدق موعود الله تعالى ﴿ولعل الناظر في هذه الآية أيضًا مع ما يجده من أسلوب الترغيب ليجد أسلوب التخويف والوعيد مع ذلك الابن الذي ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الأحقاف/17].

المطلب الثاني: المتابعة والمعاهدة بالنصح والإرشاد والتوجيه سبيل لتقويم السلوك.

وهنا "يعلم الله نوحًا درسًا هو له ولذريته ما دامت الحياة ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود/46] إن الأهلية أهلية العقيدة أولاً وقبل كل شيء، أما الوشائج وصلات القربى فكلها تتضاءل وتتلاشى إن لم تربطها العقيدة بركوبها الله المحكمة، وهذا يزيد من أولوية ما ينبغي أن يعلمه ويعلمه الناس فضلاً عن أهلك يا أهل[1] الإيمان وإن لم يصرح بذلك، والدليل على ذلك أنه قال عن ابن نوح عليه السلام ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود/46] ففيها نفي كونه من أهله، أي: ليس من أهل الإيمان مع أنه ابنه من صلبه كما أثبت الله تعالى ذلك من قبل ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود/42] ودليل آخر يؤكد صحة أن أهل نوح عليه السلام هم أهل الإيمان ما حصل منه ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ فهذا النهي من الله سبحانه

1 عباس، قصص القرآن الكريم، ص186.

سبحانه لنوح عليه السلام يدل بصورة واضحة أن ابن نوح وإن كان ابنه على الحقيقة لكنه ليس من أهل الإيمان.

ويعزز ما قلته ما ذهب إليه أستاذي الدكتور صلاح الخالدي في كتابه (مواقف الأنبياء في القرآن) قائلاً: "معنى قول نوح: إن ابنه من أهله من حيث النسب لأنه ابنه من صلبه أنجبته زوجته وكانت عفيفة في عرضها لم ترتكب فاحشة الزنا، لذلك هو من أهله من جهة النسب باعتباره أحد أفراد أسرته. ومعنى قول الله له: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ إنه ليس من أهلك في الحقيقة لأنه لم يكن مؤمنًا وأهله في الحقيقة هم المؤمنون فقط، فإن كان أحد أفراد أسرته كافرًا لم يكن من أهله في الحقيقة. ذلك: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾.

والمعنى ابنك يعمل أعمالاً غير صالحة لأنه كافر وكفره أبطل عمله وأفسده فتحول إلى عمل غير صالح"[1].

المطلب الثالث: الإعداد التربوي السليم طريق للاستجابة، وبذل النفس رخيصة في جنب الله تعالى تجعل الأولاد يمتثلون لأقوال أبيهم.

لقد جاءت هذه القيمة التربوية لتقدم لنا نموذجًا في الفداء ونموذجًا في الطاعة، فإبراهيم المربي الفاضل والنبي الكريم يرى في المنام أنه يذبح ابنه فلذة كبده، فيصدع بما يؤمر به من الطاعة لأن رؤيا الأنبياء حق، ولكن إبراهيم الطائع المستجيب يدخل مع ابنه في حوار لا ليقنعه بما رأى بل ليخبره وليعلّم نبي الله الخليل كل مربٍّ أسلوبًا تربويًا هو الأسمى والأرقى وهو عدم إصدار الأوامر الفورية للأبناء لأنه لا يجدي معهم أحيانًا، وإنما النقاش المفضي إلى الإقناع هو الثمرة الطيبة للحوار، وما كان من ذلك الابن إلا أن يقدم نفسه رخيصة في جنب الله لأنه تربى في بيئة طيبة فآتت أكلها بعد حين، فكان الرد الذي يعبر عن لطف في الأدب ورقة في التربية

1 الخالدي، صلاح، مواقف الأنبياء في القرآن، ص74.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات/102].

فهذه دروس نتعلم منها من هذين النبيين الكريمين، فيا ليتنا نتعلم شيئًا من تربية هؤلاء الأفذاذ ولا نقصر في شيء من أمور ديننا وسنة نبينا ﷺ، وأن نعلم ونزرع في أبنائنا بذور الفداء لدين الله تعالى منذ الصغر لنحصد بعد ذلك ثمارًا طيبة في أجيال قادمة[1].

المطلب الرابع: أثر التربية في ربط المفاهيم وتوثيقها.

ظن أولاد يعقوب عليه السلام أن أباهم يحب يوسف عليه السلام وأخاه أكثر من غيرهما ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [يوسف/8-9] لكن لم يذكر عن سيدنا يعقوب عليه السلام أنه أحب أحدًا من أبنائه أكثر من غيره، ولو ادعى مدع بذلك لقلت: أين دليلك على ذلك؟ وهل يعقل أن نبيًا كيعقوب عليه السلام وهو المزكَّى من ربه ألا يعدل بين أبنائه؟ إن نبينا محمدًا ﷺ كان يعدل بين أزواجه ولكن عاطفة القلب لا يملك التحكم بها فقد تميل إلى طرف، ولكن ليس على حساب أمور العدل الإمامة يعقوب عليه السلام قد يميل عن قلبه إلى يوسف عليه السلام لأن هذا الميل قد لا يدخل في باب الظلم الذي نهى عنه النبي ﷺ بين الأبناء، فقد جاء بشير وأخذ بيد ابنه النعمان - وكان غلامًا - إلى النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا». قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: «أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا». قَالَ: لَا. قَالَ: «فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ»[3].

---

[1] الخالدي، مواقف الأنبياء في القرآن، ص131-132، بتصرف.

2 (ضعيف)، سنن أبي داود، كتاب: النكاح، باب: في القَسْمِ بَيْنَ النِّسَاءِ، رقم: 2136، ج2، ص208.

3 صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم 2650، ج6، ص3262. صحيح مسلم، كتاب الهبات، باب كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الأَوْلاَدِ فِى الْهِبَةِ، رقم 4158، ج6، ص142.

المطلب الخامس: التدرج في الحوار لإقرار الحقائق.

يقصد بالتدرج "الارتقاء التصاعدي في إكساب الفرد معالي الأمور؛ لأن النفوس تنفر عن ترك المألوف وتستصعب الإلمام بكل الأمور دفعة واحدة، فيكون التدرج ذكيا في عرض المادة المراد تعليمها، فالمطيري يوصي بالتدرج كأهم ميزة حبذاب"[1] في الدعوة، ففيه "تهيئة لنفس الطرف الآخر في الحوار لتلقي ما يطرح عليه، فالنفوس تختلف في سرعة قبولها للأمور، وقد تكون مبادئ الدين وأحكامه من الأمور التي تحتاج في عرضها إلى تدرج في إزالة الشكوك والشبهات التي قد تكون عالقة في أذهان المدعوين، مع مراعاة ترتيبها وقوتها وقربها من المدعو، وقد تحتاج إلى تكرار وتفصيل في بعض ذلك"[2].

أ- تدرج إبراهيم عليه السلام مع أبيه:

و"جدير بنا أن ننظر إلى هذا التدرج الذي تدرج به إبراهيم عليه السلام مع أبيه في هذه النداءات-في آيات سورة مريم التي تمتلئ عطفا وحنانا فأولها: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم/٤٢]. وثانيها: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾ [مريم/43]. وثالثها: نهيه إبراهيم عليه السلام أباه "الشيطان" الوحيدة بعدها: الخوف إلى أن يمسه أبوه عذاب من الرحمن"[3].

قال له: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ فذلك حجة محسوسة، ثم أتبعها بقوله: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾، ثم انتقل إلى دفع ما يخالج عقل أبيه من الغرور عن تلقي الإرشاد من ابنه بقوله: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم/43]، فلما قضى حق ذلك انتقل إلى تذييله على ما هو فيه أثر من وساوس

[1] المطيري، حوار الآباء مع الأبناء، رسالة ماجستير، ص136.
[2] المطيري، حوار الآباء مع الأبناء، رسالة ماجستير، ص136.
[3] عباس، قصص القرآن الكريم، ص279.

الشيطان، ثم ألقى إليه حجة لائقة بالمتصلبين في الضلال بقوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [مريم/45]، أي إن الله أبلغ إليك الوعيد على لساني، فإن كنتَ لا تجزم بذلك فافرض وقوعه فإنّ أصنامك لم تتوعدك على أن تفارق عبادتها"[1].

ب- تدرج لقمان عليه السلام مع ابنه:

وقد انتقل لقمان الحكيم متدرجًا من الحديث عن توحيد الله ونبذ الشرك بقوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان/13] ثم جاء الحديث عن بر الوالدين ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان/14-15].

ثم تناول لقمان عليه السلام موضوع قدرة الله تعالى ليزرع الخوف منه في صدر ولده ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان/16] ثم انتقل بالحديث عن العبادات ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [لقمان/17] ثم ختم وصاياه بالأخلاق الفاضلة التي يتصف بها كل إنسان عاقل رزين ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان/17-19].[2]

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص114.

2 المطيري، حوار الآباء مع الأبناء، ص136، بتصرف.

وهذا التدرج فيه دليل على أن الداعية المسلم عليه أن يسلك طريق الحكمة متدرجًا مع من يدعوه بتقديم الأهم على المهم حتى مع أولاده.

ج- تدرج الوالدين بالحوار مع ابنهما الكافر.

ويلحظ أن الوالدين بدآ "بإظهار الشفقة والرغبة في النصح للابن، ثم الاستغاثة بالله تعالى لتذكير الابن بعظمة من عصى، ثم التخويف والدعاء بالويل، ثم بيان السبب وتعليل أمر الابن بالإيمان"[1]. قال تعالى عن الوالدين الصالحين اللذين يدعوان ولدهما إلى الإيمان: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الأحقاف/17].

د-تدرج نوح عليه السلام مع ابنه:

ويلحظ هذا التدرج من نوح عليه السلام من خلال نصحه لابنه والتحبب إليه بقوله (يا بني)، وعدم إلقاء الأوامر له بشكل مباشر، وذلك بالتحبب إليه تارة وبنصحه تارة أخرى أن يركب مع فئة المؤمنين، ثم استخدم نوح عليه السلام بعد النصح أسلوب الترهيب حيث قال: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:43].

المطلب السادس: تغيير قيم الباطل باليد وليس بمجرد الفكر إذا دعت الحاجة.

لقد كان من هدي نبينا ﷺ وهدي من قبله من الأنبياء إنكار المنكر بشتى الوسائل والطرق، وقد عدّ منها ﷺ في الحديث: «مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[2] فلطالما أن رسالة الأنبياء تستهدف نشر الخيرات وإنكار المنكرات، فإن إبراهيم عليه السلام لما دعا رأى أباه وقومه يعبدون الأصنام وهذا من المنكر، فقد دخل معهم في حوارات طويلة بلسانه بد عوهم بكل لطف ولين، لكن ذلك لم يجد نفعًا معهم فكان لا بد من تغيير يحدث تربية حقيقية تلفت أنظارهم وتفهم

1 المطيري، حوار الآباء مع الأبناء، ص136.

2 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم175، ج2 ص102.

عقولهم الدائهة للأشياء عن حقيقتها، فبدأ إبراهيم خطوة عملية فحطم الأصنام بيديه، وقد تملكه الغضب لله ولدينه فأخذ يكسر الأصنام بضربها ويهوي بها[1]. كانت عند إبراهيم، فلقد ترك صنمًا كبيرًا لم يكسره وذلك ليعود هؤلاء القوم إلى الصنم ليسألوه عمن فعل ذلك بأصنامهم وتحطيمها[2]. قال الله تعالى: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنبياء/57-58].

وهذا أسلوب تربوي رائع لأنه يقيم الحجة على منكريها فيعودون بعد ذلك وتصحو عقولهم، والجميل أن المربي لم يختر الأسلوب لتغيير المنكر فحسب، ولكن الأجمل أنه اختار الموعد والوقت المناسبين لذلك، ومما يلفت النظر أن خليل الرحمن عليه السلام اختار وقتًا لم يتواجد فيه المنكر عند تنفيذ خطته كما أنه كان حريصًا على أن يترك الكبير من الأصنام لتكون الحجة عليهم فتزيل ما علق في عقولهم بأنه الأقوى والأمثل في الإنكار على المنكرين[3].

---

[1] الكبيسي، أحمد، القصص القرآني، دار الكتاب الجامعي، العين-الإمارات، 1م ط1، 1423-2003، ص51، بتصرف.

[2] الكبيسي، أحمد، القصص القرآني، ص51، بتصرف.

[3] الزين، سميح عاطف، قصص الأنبياء في القرآن الكريم، دار الكتاب العربي، القاهرة-مصر، 1م ط7، 1426-2005، ص223.

المبحث الرابع: القيم النفسية

لقد جاء حديث القرآن الكريم عن النفس وانفعالاتها ليربط ما بين الواقع الذي يعيشه الإنسان، وليكمل القرآن الكريم دائرة القيم ويلفت أنظار المسلمين في هذا المطلب أنه كما بعض الانفعالات الأخلاقية والقيم الاجتماعية، فإن للإسلام ظروفهم الصدلاة وقد أشار العلماء أن النفس ثلاثة أقسام:

1- النفس الأمارة بالسوء: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف/53].

2- والنفس اللوامة: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة/2].

3- والنفس المطمئنة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر/٢٧-٣٠].

وليس المراد أن لكل إنسان ثلاثة نفوس، وإنما المراد أن هذه صفات وأحوال لذات واحدة، فإذا غلب على النفس هواها بفعلها للذنوب والمعاصي فهي النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامةهي التي تذنب وتتوب، سميت لوامة، لأنها تلوم صاحبها على الذنوب، ولأنها تتلوّن، أي: أتتردد بين شرحه على الخير وعلى الشر، والنفس المطمئنة هي ذاكرتي تحب الخير وتؤديه، وتبغض الشر وتجتنبه، "والنفوس بذاتها وتكوينها وتركيبها ذلك حدوثها، قد صار ذلك فيها أخلاقا وعادة، وملكة"[1]. عارضها الإيمان صارت لوامة، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك،

1- الأشقر، عمر سليمان، القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1406-1986، ص100.

2- ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1م، ط8، 1404-1984، ص395.

وقد وجدت هذه القيم مبثوثة في حوارات الآباء مع أبنائهم ضمن ظواهر مختلفة فبدءًا من الخوف المتمثل في قصتي نوح ويعقوب – عليهما السلامَ، ومرورًا بظاهرة الحزن المتمثلة بقصة يعقوب ﷺ مع أولاده، وانتهاء بظواهر الندم والمتمثلة بقصة نوح ﷺ، والتقدير والاحترام والمتمثلة في إبراهيم ﷺ تجاه أبيه، وظاهرة انسجام شخصية الأنبياء – عليهم السلامَ والمتمثلة في قصة إبراهيم وولده إسماعيل – عليهما السلامَ، وإليك تفصيل ذلك.

المطلب الأول: الخوف عند نوح ويعقوب -عليهما السلام-

وقبل أن أشرع بالحديث عن ظاهرة الخوف النفسية عند هذين النبيين الكريمين لا بد لي أن أقف على تعريف الخوف ومعانيه عند أهل اللغة وعلماء النفس.

"1- الخوف في اللغة والاصطلاح.

تكاد معاجم اللغة تجمع على أن الخوف في اللغة معناه: الفزع. وأنه مشتق من خاف يخاف خوفًا وخيفة ومخافة، ومنه التخويف والإخافة، والذعت منها خائف. وكل هذه المصطلحات وردت في القرآن والسنة النبوية. وقد وقع اختلاف عريض بين العلماء في المعنى الدقيق للخوف. وقال ابن فارس: "الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع"[1].

وعرفه الميداني عند قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه/٦٧]. "والخوف: شعور نفسي مؤلم مزعج، ويكون من توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب أو مرغوب فيه"[3].

وعرّفه ابن القيّم بقوله: "الخوف: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف. والخوف: هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره"[1].

---

1 ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص99. وينظر: الجوهري، الصحاح، ج4، ص1348، 1359. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج3، ص144، وغيرهم.

2 الأصفهاني، المفردات، ص166.

3 الميداني، معارج التفكر، ج8، ص173.

"ويلحظ أن التركيز في هذين التعريفين كان على القلب؛ لأن ما يكون في القلب ينعكس على الجوارح، وأول درجات في مقامات الخوف كما ورد في القرآن الكريم، يتبين أنها تستعمل في الأمور الدنيوية ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء/٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الأنعام/٨١]، والأخروية، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة/١٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء/٣٥] فتم، وحقيقته وإن وقع لكم خوف من ذلك لمعرفتكم، والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد بل إنما يراد به الكف عن المعاصي، واختيار الطاعات، ولذلك قيل: لا يعد خائفا من لم يكن للذنوب تاركا"[2].

2- "الخوف عند علماء النفس.

"عدّ علماء النفس الخوف حالة من حالات التوتر التي تدفع الخائف إلى الهرب من الموقف، كما عدّوه حالة طبيعية تصيب الإنسان، لأنه مفطور على مثل هذه الانفعالات.

يقول الدكتور محمد بني يونس: "الخوف: هو ظاهرة طبيعية أو سوية، ولا يدل على أي اضطراب نفسي أو انحراف في الشخصية، طالما أن هناك أسبابًا معقولة له، وأن مستوى الخوف الذي يبديه الشخص الخائف يتناسب مع حجم المثير المخوف، والخوف في حد ذاته ليس شيئًا رديئًا يجب القضاء عليه، أو يجب الاستغناء عنه تمامًا

1 ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط2، 3م، 1393-1973، ج1، ص512.

2 الأصفهاني، المفردات، ص166.

3 بني يونس، سيكولوجية الدافعية والانفعالات، ص244-245.

والحقيقة أن أكثر الانفعالات شيوعًا، هو انفعال الخوف؛ لأنه لا أحد معصوم منه، فهو فطري مكتسب. وكلام الدكتور محمد بني يونس يفيدنا إفادةً كبيرة في تحليل بعض انفعالات الخوف التي حدثت للأنبياء – عليهم السلام –، فهي في حد ذاتها ليست شيئًا رديئًا سواء للأنبياء أو لغيرهم، فمن الطبيعي أن يخاف أي شخص، بدءًا من الصغير الذي يخاف من أبيه أو أمه، وانتهاءً بالنبي الذي تلوى سيماؤه كان الموت أو غيره، ذلك أنّ الخوف من الله ﷻ ويصل به الخوف إلى درجة الفزع حين يتسوّر عليه المحراب اثنان لا يعرفهما، فالخوف ليس صفة ذم أو نقص بل هو من مقومات الحياة، ومع حجم التأثير الوجداني للخوف سأتكلم عن الخوف من الناحية النفسية كما بحثها القرآن الكريم عند نوح ﷺ مع ابنه، ويعقوب ﷺ مع أولاده، وإليك بيان ذلك.

1- خوف نوح ﷺ على ابنه:

ويبدأ هذا المشهد بقوله سبحانه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود/42] فنوح ﷺ قد خاف على ابنه أن يكون مع المهلكين الغارقين، وخوفه هذا مبعث من أمرين اثنين: أما الأول: فهو مبعث إيماني محض، فنوح ﷺ يريد أن يظفر ابنه بالإيمان بأن يوحد الله سبحانه وتعالى ويلتزم جماعة المؤمنين، وهذا جلي واضح في قوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أما الأمر الثاني فهو مبعث عاطفي نفسي، فهاهي أحاسيس الأبوة تحرك اتجاه الابن متحببًا إليه ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ لأن نوحًا ﷺ كأي أب من الآباء يحرص على أبنائه يراعي مشاعرهم. ابن نوح ﷺ كان في منحنى آخر من الخوف وهو الخوف السلبي إن جاز التعبير، فعواطف ابن نوح ﷺ لم تشاطر خواطر أبيه ومشاعره ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود/٤٣] فهو ليس حريصًا على خوف أبيه ولا على الخوف من الله سبحانه، واعتقد أنه سيؤمّن لنفسه عدم الخوف بالأسباب المادية التي لا تقدم ولا تؤخر في ميزان العدل.

2-خوف يعقوب على ولده يوسف -عليهما السلام- من إخوته:

وذلك في موضعين:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف/٤-٥].

حيث يظهر خوف يعقوب على يوسف- عليهما السلام- من خلال نهيه عن إخبارهم برؤياه احترازًا، ويجوز أن يكون احترازه كان من جهة دلالة الرؤيا على شرفه وكرامته، وزيادة من قدره على إخوته التي فخرت من يحسدهم عليه يوسف- عليهما السلام- بذلك أن يخبر إخوته بما رآه هو معرفة يعقوب عليه السلام بطبائع النفوس وخاصة أبنائه، والأب هو أعرف الناس بنفسيات أبنائه وطبائعهم ويمكن أن يكون الخوف على الأبناء يكون مقرونًا عند آبائهم بمعرفة صفاتهم الجسدية، كألوانهم مثلاً وطبائعهم النفسية كمعرفته مثلاً بحبهم للأشياء وكرههم لها، لأن الأب المشفق يكون شديدًا قوي الفراسة في تعرف ما عند أبنائه حاسة نفوذ من حيث يدري أو لا يدري على ملامحه حين حدثه يوسف عليه السلام برؤياه، فقد بدأ الخوف والقلق يعتريانه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ والكيد هو: إخفاء عمل يضر بالمكيد... وتذوين كيدًا للتعظيم والتهويل زيادة في تحذيره من قصّ الرؤيا عليهم[1].

1 نوفل، أحمد، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص278.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ [يوسف/١١-١٣].

حيث يحتمل في هذه الآية الكريمة أن يكون الخوف عند يعقوب عليه السلام على ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون الخوف على الحقيقة، بمعنى أنه خاف على ابنه من أكل الذئب له، وهذا ما ذهب إليه أستاذنا الدكتور أحمد نوفل - حفظه الله - بقوله: "إن نبي الله لا يخبر بغير الحقيقة فخوف الذئب، واحتمال عدوانه قائم، ويجوز أن يكون احتمال الخوف الذي دار في خلد يعقوب عليه السلام من قول إخوة يوسف عليه السلام وتمكين الذئب منه، وهو وارد، ذهب إليه السيد قطب - رحمه الله - عين الحقيقة، وليس خلافًا من القول"[1].

الثاني: وهو وسط بين القولين السابقين، ويتمثل بإهمال يوسف عليه السلام من قبل إخوته فيأكله الذئب وهم عنه غافلون، الذي أرجح أن الخوف على الحقيقة للأسباب التي ذكرها د. أحمد نوفل في نهاية كتابه في الأمر أن الخوف قد وقع من يعقوب عليه السلام، حاله كحال خوف الآباء على أبنائهم أيًا كان معنى الخوف.

وخلاصة القول يمكن تقسيم الخوف من خلال قصتي نوح عليه السلام مع ابنه، ويعقوب عليه السلام مع أبنائه إلى قسمين:

أما الأول فهو الخوف المطلوب الذي يتمثل بخوف الآباء على أبنائهم من تصرفات ربما لا يعقلون عواقبها، وتتمثل بخوف نوح عليه السلام على ابنه من الغرق، وخوف يعقوب عليه السلام على يوسف أن يقص رؤياه على إخوته مخافة المكيدة والحسد، وهذا الخوف المحمود، والذي يمكن أن نطلق عليه خوف الإيجاب من الله تعالى ثم من أبيه، وهذا النوع من عدم الخوف سلبي بامتياز.

1 نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص309.

2 ينظر: قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص1975.

المطلب الثاني: الحزن والبكاء.

وقد وجدت هذه الظاهرة النفسية مبثوثة في قصة يوسف عليه السلام في ثلاثة مواضع، ولكن قبل الحديث عن هذه المواضع الثلاثة في القرآن الكريم سأتحدث عن تعريف الحزن لغة واصطلاحًا، وعن معناه عند علماء النفس:

1- في اللغة والاصطلاح: اتفقت معاجم اللغة على أن الحزن هو: نقيض الفرح، وخلاف السرور، ويأتي بمعنى الهمّ، وذلك أن الحزن غالبًا ما يقترن بالهمّ والغمّ. كما يأتي بمعنى: خشونة الشيء، قال ابن فارس: الحاء والزاي والنون، أصل واحد، وهو خشونة الشيء وشدّة فيه، وهذه الخشونة والشدّة تحصل في النفس بسبب الهمّ والغمّ، اصطلاحا: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾[فاطر/٣٤]: هو ضرب من آلام النفس يجده الإنسان عند فوت ما يحبه"[1]. وعرّفه البغوي بأنه: "ألم القلب بفراق المحبوب"[2].

2- "الحزن عند علماء النفس:

عرّف الدكتور محمد عبد العليم الحزن بأنه: "مشاعرٌ عاطفية لا تمس مقدرات الإنسان الأخرى، وأنه رد فعل لظرف سلبي"[3]، ويطلق علماء النفس الاكتئاب على الحزن[4]، ومعلوم أن الاكتئاب انفعال يختلف عن الحزن، لكن قد يلتقي به في مرحلة متقدمة من الحزن.

---

1 الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص123.

2 رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج6، ص320.

3 البغوي، تفسير البغوي، ج4، ص220.

4 مقال على الانترنت للكاتب محمد عبد العليم، بعنوان:"لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يحبون فيها الحزن، ينظر الموقع: http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?regid=274294

5 مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه، بعنوان "الاكتئاب"، ينظر: htpp://ar.wikipedia.org/wiki

وقد فرّق الدكتور محمد عبد العليم بين الاكتئاب وبين الحزن بأن الاكتئاب: "جملة من الأعراض التي تفقد الإنسان فعاليته، وتؤثر سلبًا على عواطفه وتفكيره وتواصله، وحتى قدرته كإنسان"[1]، "تزايدي في حياة الفرد بشكل عام، بل والانفعال واقعي متعدد الأسباب رأيت أن علماء النفس لم يتعمقوا في تعريفه أو توصيفه كما فعلوا مثلاً مع بانفعال الحزن: الخوف أو الغضب أو القلق.

1- القلق الشديد من المستقبل.

2- تعرض الفرد أو أحد أفراد الأسرة أو الأصدقاء إلى حادث أو فاجعة أو إصابة بمرض.

3- الهاجس الوسواسي: وهو الحزن بدون سبب.

4- العقل الباطني: وذلك من خلال مشاهدة الفرد أو سماعه لمشهد أو لخبر محزن، وهذا حزن مؤقت سرعان ما يزول"[2].

بعد هذا الحديث الموجز عن معنى الحزن لغة واصطلاحًا وعند علماء النفس سأتكلم عن الحزن كظاهرة نفسية في قصة يوسف عليه السلام وإليك تفصيل ذلك:

1- قوله سبحانه: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [يوسف/١١-١٣].

فهذا المشهد يكشف الستار عما في نفس يعقوب عليه السلام من الحزن المقرون بالخوف على ولده يوسف عليه السلام، كما يكشف عن مدى تعلق يعقوب به.

---

[1] مقال على الانترنت للكاتب محمد عبد العليم، بعنوان:"لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يحبون فيها الحزن، ينظر الموقع: http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?regid=274294

[2] مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه بعنوان:"الكآبة...مرض العصر". ينظر الموقع:
http://www.albawaba.com/ar/health.mental_welbeing/270990

فما إن راود أولاد يعقوب عليه السلام أباهم لاصطحاب أخيهم يوسف عليه السلام معهم في رحلة الرعي حتى بدا الحزن عليه ظاهرًا، بل إنه صرح لهم أنه "يحزنني أن تذهبوا به لأني لا أصبر عن رؤيته ولا أطيق على فرقته... هذا إذا كان الحال سلامته.. فكيف ومع هذا أخاف أن يأكله الذئب.[2] وقال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف/١٦-١٨].

فهذا المشهد، وهذه الكلمات التي خرجت من فم يعقوب عليه السلام تخفي في داخلها الحسرة والأسى والهمّ والغمّ، والحزن العميق على فقدان ولده يوسف عليه السلام، ومن نداء قلبه، أن يوسف لم يأكله الذئب، وأنهم دبّروا له مكيدة ما، وأنهم يلفقون له قصة لم تقع، ويصفون له حالاً لم تكن، فواجههم بأن نفوسهم قد حسّنت لهم أمرًا منكرًا، وذللته ويسّرت لهم ارتكابه، وأنه سيصبر متحملاً متجملاً لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو، مستعينًا بالله على ما يلفقونه من حيل وأكاذيب"[1]. وقوله ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ أي "فأمري الذي أعتصم به تجاه مكيدتكم هو صبر جميل على حزني الذي لا أبدي فيه تضجّرًا ولا جزعًا، ولا أقاسي فيه إلا الصبر: يرضى به ربي"[2] "تفس على احتمال الآلام كالمصائب إذا عرضت، والجميل منه هو ما لا شكوى فيه إلى الخلق ولا جزع، رضًا بقضاء الله، ووقوفًا مع مقتضى العبودية"[3]. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ "من هذه المصيبة لا أستعين على احتمالها غيره أحدًا منكم ولا من غيركم"[4].

---

1 قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص1976.

2 الميداني، معارج التفكر، ج10، ص634.

3 القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ت محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1415-1994، ج4، ص353.

4 رضا، محمد رشيد، المنار، ج12، ص221.

"فالحاصل أن يعقوب عليه السلام حزن حزنًا عميقًا، لكنه كتمه وكظمه في نفسه، وكأن الحزن لم يظهر على قسمات وجهه، واكتفى بالشكوى إلى الله تعالى والصبر والاحتساب ويبدو من قول يعقوب عليه السلام: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ بعد على مصابه.

قوله ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ ما يدل على قوة المغالبة بين دواعيه النفسية المتحرقة حزنًا وهمًّا على يوسف عليه السلام والتي تدعوه لإظهار الجزع، وبين داعي الرحمن الذي يأمره بالصبر، قالوا الرعطلى: ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا على لجم دواعيه النفسية"[1].
عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾
وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ
يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ
ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف/٨١-٨٦].

"وهذا المشهد هو أبرز مشاهد انفعال الحزن في القرآن الكريم على الإطلاق، فقد جمع مع الحزن الكمد والهمّ، والبكاء والبث والشكوى إلى الله تعالى، الحزن عند يعقوب عليه السلام حدّ وصل إلى أربع مراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الهمّ المكبوت في داخل النفس، وهي مقدمة ليعقوب عليه السلام لما جرى أولاده بما جرى لأخيهم مع عزيز مصر من احتجازه بسبب سرقة المكيال، حتى قال نفس الكلمات التي قالها حين جاؤوا بخبر أكل الذئب لأخيهم يوسف: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، وهذه الكلمة تخفي في

1 الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، ج18، ص107.

سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، وهذه الكلمة تخفي في داخلها الشك من كلام أولاده والهم والغم المكبوت في القلب.

المرحلة الثانية: مرحلة الحزن الشديد المقرون بتذكر أحزان الماضي وأشجانه: نزول وهو يصف هذه المرحلة: "لقد هجر الناس واعتزل، أو انصرف عنهم، تاركًا قولهم وتأكيداتهم، خاليًا إلى نفسه، ممتلئًا حزنًا، قائلاً: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ ويا لها من كلمة تقطر حزنا ومرارة، وحرقة ولهفة، وهذه الكلمة ومثيلاتها في اللغة العربية مثل يا حسرتي، ويا ويلتي، لا يقصد بها حقيقة النداء، وإنما هي وقوله: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ الأسف: "أشد الحزن والحسرة إلى منفاسه كأن الأسف لما كان يأتي الإنسان دفعة[2]، ونداء الأسف "مجاز، نزّل الأسف منزلة من يعقل فيقول له: احضُر فهذا أوان حضورك، وأضاف الأسف إلى ضمير نفسه لأن هذا الأسف جزئي مختص به من بين سائر جزئيات جنس الأسف، وقيل معناه: يا ربّ احضر أسفي عليه بإزالة سبب فراقه يوسف وانضمام فراقه لأخيه"[3] سبب فراقه يوسف وانضمام فراقه لأخيه"[4] ما الذي ذكّر يعقوب عليه السلام بولده يوسف عليه السلام وجعل شدّة حزنه ووجده عليه دون أخيه مع أن المشهد جاء في سياق الحديث عن كليهما؟ قيل ليس الزمخشري: "أن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضّا عنده طريّا، ولأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده، فكان الأسف عليه أسفًا على من لحق به"[5]. وأما الفخر الرازي فقد ذكر أربعة وجوه لعظم حزنه على مفارقة يوسف عليه السلام دراسة تحليلية، ص517. وهي[6]:

1 نوفل سورة يوسف

2 الزمخشري، الكشاف، ج2، ص338.

3 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص423.

4 الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص48.

5 الزمخشري، الكشاف، ج2، ص338.

6 الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، ج18، ص197.

1- أن الحزن الجديد يقوّي الحزن القديم الكامن، والعكس صحيح.

2- أن الحزن على فراق يوسف كان أوجع وأشد، وربما كانت المشابهة بينهما في الصورة والصفة أكمل، فكان يعقوب يتسلّى برؤية يوسف، فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السلوة فعظم الأسف وكانت أفضل مصائبه التي عليها ترتبت سائر المصائب سواء بسواء.

3- أن المصائب الجديدة كانت أسبابها جارية مجرى الأمور التي يمكن معرفتها والبحث عنها، أضف إلى أن مكان من فقد مؤخرًا معلوم، أما يوسف فلما يعلم يعقوب له مكانًا، ولا للمصيبة فيه كيفية، تجانس جميل بين كلمتي (الأسف) و(يوسف) وكأن النص يشير إلى أن الحزن الشديد والكبير والعظيم والفاجعة الكبرى بفقدان يوسف. وهذا "مما يزيد النظم الكريم بهجة"[1]، "ويقع مطبوعًا غير مستعمل فيملح ويبدع"[2].

المرحلة الثالثة: ذهاب البصر من شدّة الحزن والبكاء والكمد:

فقوله تعالى: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾. قال ابن عاشور: "وعندي أن ابيضاض العينين كناية عن عدم الإبصار، وأن الحزن هو السبب لعدم الإبصار كما هو الظاهر، فإن توالي إحساس الحزن على الدماغ قد أفضى إلى تعطيل عصب الإبصار، فلا يستغرب صدوره من نبي"[3]. وهذا تهجم الشيخ من الحزن: "ولوعات الأسى والحسرة على الشيخ الكبير، حتى لقد ابيضت عيناه من الحزن الدفين، الذي أبى على عينيه أن تبللهما قطرات الدموع، وأن تطفئ

---

1 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص423.

2 الزمخشري، الكشاف، ج2، ص338.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص34.

أن تبللهما قطرات الدموع، وأن تطفئ النار المشتعلة فيهما، حتى أتت على فحمة سوادهما، وأحالته رمادًا"[1].

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ الكظم في اللغة: الردّ والحبس[2]. وقال الأصفهاني: "الكظم مخرج النفس"[3]. والمعنى: فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يُظهر ما يسوؤهم[4] منه في أحيان كثيرة لأنه ممسك عن إمضاء الأمر الذي يغيظه، وهذا دليل على شدة حزنه وغمّه بما ناله من الحزن الشديد الذي يملأ القلب ويحبس النفس[5]. بهذه المواجع والأحزان. وكظم الحزن الشديد في القلب وحبسه في الصدر هو "حالة الحزن أفدح وأشدّ وأعظم وأسوأ"[6] إذا كانت غريقة في الغمّ، فاللسان كان مشغولاً بقوله ﴿يَا أَسَفَى﴾ والعين بالبكاء والبياض، والقلب بالغمّ الشديد الذي يشده ويعقله عن الخروج إلى الماء منه، وهذا مبالغة في وصف ذلك الغم"[7].

المرحلة الرابعة: قطع الأشكاية بالهموم والأحزان الذي شدّ ولا يمكن إخراج ذلك الحزن والأسى يمكن أن يخف أو ينتهي بثّه إلى الناس، وإفراغ الهموم والأحزان والغمّ والهمّ وأسبابها إليهم مما يريح النفس ويجلي الصدر، خاصة إذا بثه إلى أهل الصلاح أو التخصص. أما إذا بقيت هذه الأحزان مأسورة في القلب بعد أن جفت العين من البكاء، فهذا قمة مراحل الحزن.

---

1 الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج7، ص34.

2 الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، ص173.

3 الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص434.

4 الزمخشري، الكشاف، ج2، ص339.

5 ينظر: الطبري، جامع البيان، ج6، ص4609، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص249.

6 الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج7، ص35.

7 الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، ج18، ص200.

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ﴾ قال أبو السعود: "البث: أصعب الهمّ الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس، أي: ينشره"[1]. وقال الميداني: "والبث: الشكوى التي يصرح بها لكن الشاكي يفرق بين البث والحزن وإلامه أن البث يدهمه والحزن يمرضه"[2]. يجيب على ذلك الفخر الرازي -رحمه الله بقوله: "فالحزن إذا ستره الإنسان كان همّا، وإذا ذكره لغيره كان بّثا، وقالوا: البث أشدّ الحزن، والحزن أشدّ الهم"[3].

فقوله: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فقد حصر الشكاية إلى الله وحده دون سواه، وكأنه يقول: "إنما أشكو حزني العظيم، وما دونه من الحزن إلى الله لا إلى غيره من الناس"[4]. وذلك أن البث: هو الحزن العظيم، أو الحزن الشديد، وقد ورد في القرآن الكريم حزنًا، وأنه جمع مراحل الحزن كلها".

المطلب الثالث: احترام الوالد وتقديره ولو كان كافرًا.

"وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام ينطلق من مبدأ الرسالة في حواره مع أبيه، فهو حريص على أن يكون منطلق العاطفة ومرتكزها منسجمًا مع الرسالة ومبادئها، فالأب وإن كان كافرًا إلا أنه لا بد من الإبقاء على شيء من الاحترام والتقدير في حواره، وهذا ما كان يفعله إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وقيمة هذا من الناحية النفسية تبرز من كون هذا الإبقاء يحافظ على جو الحوار مشحونًا بالعاطفة، ولعل هذا يبرز في المقطع الآتي: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ [مريم/٤١-٤٢]. فهذا المقطع-

[1] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص424.

[2] الميداني، ومعارج الفكر، ج1، ص723. بجو العاطفة، فقد ذكرت لفظة ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ في هذا المقطع على لسان إبراهيم عليه السلام عدة مرات، لتبقي على الجو جاذب العاطفة والحرص على أبيه

[3] الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، ج18، ص202.

[4] الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص49.

على الجو جانب العاطفة والحرص على أبيه ولو كان كافرًا، فهذه اللفظة تشعر أنه يخاطب إنسانًا عزيزًا عليه، كما نلمس في المقطع حرص سيدنا إبراهيم عليه السلام على جانب التأثير النفسي ليكون ضاغطًا على أبيه، وذلك أنه يستخدم أسلوب تلمس الدعاء له، فيكون ضاغطًا نفسيًا على أبيه ليشغل بهذا الدعاء وما يحمله من معان، وهكذا نجد أن الأنبياء جميعًا التزموا بمبدأ الرسالة محورا ومرتكزا يحركهم في حواراتهم مع أقوامهم"1.

المطلب الرابع: انسجام شخصية الأنبياء عليهم السلام وعدم ازدواجيتها

وهذا المبدأ يعني أن "شخصية الأنبياء- عليهم السلام- لم يعيشوا ازدواجية الشخصية، فشخصيتهم واحدة منسجمة تلتقي مع جميع الشخصيات التي تحاورها في سبيل الدعوة، وهي حريصة على كسب جميع الفئات إلى صف الدعوة والتعامل مع غير المؤمنين بها، منطلقة من مبدأ واحد هو مبدأ الرسالة سواء أكان أبًا كما هو الحال مع إبراهيم عليه السلام وأبيه أم كان ابنًا كما هو الحال مع نوح عليه السلام وابنه... وتعامل صاحب الرسالة مع الأوامر منسجم كذلك مع انسجام الشخصية، فموقف إبراهيم عليه السلام من ذبح ابنه إسماعيل -كما يعرضه لنا النص القرآني- موقف منسجم مع هذه الشخصية: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الصافات/١٠٢-١٠٥]. فهذا الحوار القصير يبرز لنا الحالة النفسية التي استقبل بها كل من الأب والابن أمر الله- سبحانه وتعالى- وهي التسليم والطاعة والتي تنسجم تمامًا مع الهدوء في أمر الرسالة"2.

1 الجيوسي، عبد الله محمد، التعبير القرآني والدلالة النفسية، رسالة دكتوراه في علوم الوحي والتراث، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2001، ص330-331.

2 الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، ص331.

المبحث الخامس: القيم الأخلاقية

لقد اهتم القرآن الكريم بترسيخ القيم الأخلاقية، ولا تكاد سورة من القرآن تخلو من التأكيد على الأخلاق ونماذج منها، ولقد خاطب الله تعالى نبيه ﷺ ووصفه بأنه صاحب الخلق العظيم قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] وقد وصف الله صحابة النبي ﷺ بأنهم أصحاب الأخلاق وذلك في سورة الفتح حيث قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩] وفي هذا البحث سأقف متدبرًا أهم الأخلاق التي احتوتها القرآن الكريم ليأتي بها النبي ﷺ أقوامهم مجملة ثم أقف مع جملة من أحاديث النبي ﷺ التي جاءت مفصلة لهذه الأخلاق فقال: "إن أحبكم إلي وأقربكم مني أحاسنكم أخلاقا"[1].

المطلب الأول: حسن أدب الولد مع أبيه والتلطف في الخطاب ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢].

وأدب إبراهيم ويوسف عليهما السلام والبنت الصالحة مع أبيهم باستخدام لفظة (يا أبت) الدالة على التحبب.

وأدب إبراهيم عليه السلام إنكاره لمنكر أبيه بالتلميح لا بالتصريح ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ﴾ [الأنعام: ٧٤].

ما أجمل ما سطره الأستاذ عبد الرحمن داود الجمل في كتابه حيث يقول: «أي ذكّر قريشًا يا محمد بإبراهيم عليه السلام الذي نهى والده الكافر عن كفره وشركه، وهم الذين يقلدون آباءهم في الشرك والكفر، وهم المدعون أنهم المنتسبون لإبراهيم، فالأولى بهم أن يفعلوا كما فعل إبراهيم عليه السلام فلا يقلدوا الأعمى وفي نفس الوقت أن يظلوا بارّين بآبائهم، لأن اختلاف الدين لا يعني الحرب والقتال والعناد والاستهزاء، فإبراهيم برّ

[1] أخرجه الترمذي في سننه برقم 2018 وقال: حسن صحيح.

والقتال والعناد والاستهزاء، فإبراهيم برّ والده مع كونه مختلفاً عنه في الدين، لذا فقد استحق إبراهيم أن يُخلَّد ذكره في القرآن الكريم لجميل ما صنع، كان النموذج العملي على بر الوالدين، حتى في حال كفرهما، وبيان كيف تكون دعوتهما إلى الإيمان بالله، هذا المثال الذي يظهر من خلاله مواقف أثبتت للجميع أنه كان بارّا بوالده الكافر، مع أنه نبي، وأن الوالد (رأس في الكفر، إلا أنه أثبت حُسن وبره بخطاب كان ذلك من خلال وقفات حيث: يقصد النداء المعهود، نداء البعيد، بل قصد شد انتباهه إحضارًا لسمعه وذهنه، ولكي يتلقى ما سيلقيه عليه وبه تأتيه، مع أن الأصل أن يقول: أبي، نودع في الآيات تأنيثها بدلًا عن هذا الكلام، وفكك ليستعطف بها رقته التي يشارك الأم فيها، فكأنه قال له: لم يصر أبي بطلًا الذي هو المثل، أو قال له: (إني جاءني من العلم بي، ثم إنه أتاك)، هذا الإسهاب في الآيات التي تؤكد أن والده لعبادة آلهة لا تستحق العبادة، بل لعبادة ما يستخف العقل الصريح والمنطق السليم به، العاقل يفعل بعا: ثم فيك لغرض صحيح وواضح، فكلامه الصحة لا لبس فيه ولا إشكال ولا غموض أو ظنون أو افتراض، فإنه لم يسم نفسه بالعالم الفائق، بل جعل من نفسه كرفيق سفر أو صاحب طريق، ينصح صاحبه تجنب الشيطان الطريق الصحيح، فقال له: (لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًا)، فقبّح فعل الشيطان، والشيطان الذي أخرج أبوينا من الجنة لا يستحق أن يطاع في أي أمر، ثم إن الشيطان عصى الله من أسماء الله الحسنى الرحمن، فقوله تعالى: الشيطان، فمن يكابر فقد يجرم نفسه وهذا عدم له، ويقال: فإن قبلته والديه لا يستحق أن يُتخذ ولي، ارجهنم إن استمر على كفره وولايته للشيطان، فقال له: (إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن)، وهو يذكّر والده أن الله يفتح باب التوبة والرحمة لكل مَن يتوب ويعود عن كفره ومعصيته، وقال: (يمسك عذاب) والمسّ هو الشيء الخفيف من اللمس والحس،

والحس، ثم إنه نكَّر كلمة العذاب فقال: (عذاب من الرحمن)، حيث جاء تنكيرها بمعنى التقليل، فإن مَن جعل الشيطان وليا له من دون الله لهو ذنب عظيم، وعمل أعظم وأكبر من: أن عذاب الله أعظم وأشد من كل عذاب، وإن الله لهو أعظم من كل ثواب وإليه، فإبراهيم يدعو إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام، كما يدعو إلى بر الوالدين وغيرها من أعمال الصلاح، فقد راعى المجاملة والرفق وحُسن الخلق التي يأمر الناس بها"[1].

المطلب الثاني: مقابلة الإساءة بالإحسان: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم:٤٦-٤٧].

هذه الآيات ميزان ذو كفتين، فالكفة الأولى فظاظة أبي إبراهيم عليه السلام حال دعوته، والكفة الأخرى عكسها تماماً وهي رد الإساءة بالإحسان، فهكذا هم الدعاة الحق لا يأبهون بما يلاقون من ردود أفعال على دعوتهم، بل ترى الإخلاص والصدق وحب الخير يقطر من أفعالهم وكلماتهم أكثر حينما يجابهون بالإساءة.. فلله درهم!

مقابلة الإساءة بالإحسان لهو أفضل عنوان يلخص مسيرة الأنبياء- عليهم السلام- وعلى رأسهم سيدنا محمد- ﷺ-، ويجدر بنا هنا أن نبين أن إفشاء السلام واجب على المسلم، سواء كان يعرف من يسلم عليه أم لا يعرفه، وهذه الآية تدل على جواز إفشاء السلام حتى على المخالفين والجاهلين، لعل في ذلك تأليفاً لقلوبهم وحاملاً لهم على الارعواء عن غيهم والرجوع إلى الحق، وفيه إظهار حسن الخلق، والدعوة في سبيل الله تحتاج إلى التعامل، وأن سايلين إبراهيم لصدع بالحق بل كسر الأصنام، عن وجهه هذا وأراد أن يظهر عظيم من الأخلاق التي بها قد غرل به عنها على الداعية،

1- عبد الله عبد الرحمن داود جميل، منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، قدمت هذه الرسالة للحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في الجامعة النجاح الوطنية في نابلس- فلسطين، إشراف: حليمة عبد الحميد النقيلم 2010، ص96-98. سلمت مني لا أصديك بمكروه، وذلك

وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره، وقيل: هذا سلام هجران ومفارقة. وقيل: سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان:٦٣][1]. وهذا يظهر عظيم إيمان إبراهيم عليه السلام حيث ترك أهله وما اصطنعا[1]. المفارقة وما أشدها، لكنه تركها احتساباً لله تعالى. ابن كثير: (يعني: إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها، فانته عن سبها وشتمها وعيبها، فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك) ثم قال: (وقوله: "واهجرني مليا".. قال السدي: أبداً) ثم ذكر: (عن ابن عباس: "واهجرني مليا" قال: سويا) ابن عاشور: (واهجرني مليا": قال: ذلك أنه هدده، بعقوبة قبل أن تصيبك إن لم تقلع)[2]. عن كفره بآلهتهم، وبعقوبة عاجلة وهي طرده من معاشرته وقطع مكالمته. والهجر: قطع المكالمة وقطع المعاشرة، وإنما أمر أبو إبراهيم ابنه بهجرانه ولم يخبره بأنه هو يهجره ليدل على أن هذا الهجران في معنى الطرد والخلع إشعارا

المطلب الثالث: تقبل الأبناء نصح آبائهم وسرعة الاستجابة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

فلننظر سرعة استجابة أبناء يعقوب لأبيهم في آخر وصاياه للحياة والموت على الحنيفية ملة إبراهيم، فما ترك أحد من أبنائه في هذا الموقف الجلل إلا وأوصى به. هو الأب في حالة الاحتضار لم يبدلوا أو يغيروا، وكم سمعنا عن خلق نكصوا عن صراطهم في مثل هذه المواقف الحرجة، فحينما يرون الأب أو الرقيب دخل في النزع بدلوا وغيروا، إلا أن تربية يعقوب لأبنائه كانت في محلها.

[1] البغوي، معالم التنزيل، ج5، ص235.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص332.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص120.

المطلب الرابع: التحذير من خلق الكيد ونفث الشيطان فيه قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يوسف: ٥]

الحسد خلق ذميم نهى رسول الله ﷺ عنه قائلاً: "دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين، والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ أفشوا السلام"[1]. قال القرطبي: (هذه الآية أصل في ألا تقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها.. وفي هذه الآية دليل على أن مباحًا أن يُحَذِّرَ المسلم أخاه المسلم ممن يخافه ولا يكون داخلاً في معنى الغيبة، لأن يعقوب عليه السلام حذر يوسف أن يقص رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيدًا، وفيها أيضًا ما يدل على ترك إظهار النعمة عند من تخشى غائلته حسدًا وكيدًا، قال النبي ﷺ: "استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود" وفيه أيضًا دليل واضح على معرفته عليه السلام بتأويل الرؤيا، فإنه علم من تأويلها أنه سيظهر عليهم، ولم يبال بذلك من نفسه، فإن الرجل يود أن يكون ولده خيرًا منه، والأخ لا يوده هذا لأخيه، ويدل أيضًا على أن يعقوب عليه السلام كان أحسّ من بنيه حسد يوسف وبغضه، فنهاه عن قصّ الرؤيا عليهم خوف أن يغلّ بذلك صدورهم، فيعملوا في هلاكه، هذا ومن فعلهم بيوسف يدل على أنهم كانوا غير أنبياء في ذلك الوقت)[2].

إن الفارق كبير بين موقف نبي الله يعقوب عليه السلام مع ابنه يوسف وبين موقف إخوته معه، وتأمل قول القرطبي: (فإن الرجل يود أن يكون ولده خيرًا منه، والأخ لا يود هذا لأخيه).

يقول سيد قطب رحمه الله في (الظلال): (ولهذا نصحه بألا يقص رؤياه على إخوته خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم غير الشقيق، فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم، فتمتلئ نفوسهم بالحقد، فيدبروا له أمرًا يسوؤه "قال يا بُني لا تقصص رُؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا" ثم علل هذا بقوله: " إن الشيطان للإنسان عدو مبين)[3].

---

[1] المنذري، الترغيب والترهيب، ج4، ص31 وقال: إسناده جيد.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص127.

3 قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص293.

المطلب الخامس: الصبر على البلاء عند الصدمة الأولى في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: 18] أن يقولوا: إن الصبر جميل، ولقد عدَّ الصبر فضيلة من الفضائل في الدراسات الخلقية، ولكن القرآن الكريم يعلّم الناس: إنه ليس من الضروري، أن يكون مطلق الصبر جميلاً، لأن هناك صبراً معيناً هو الذي يستحق الوصف بالجمال، يقول سبحانه وتعالى في سورة يوسف حين يعود إخوة يوسف باكين، بعد أن نفذوا مؤامراتهم مع أخيهم يوسف، فيقول لهم أبوهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: فلنشهد عظيم الصبر الذي ورثه يعقوب من أبيه وكلاهما عظيم جداً، فقد تجلّد يعقوب ملأ الله قلبه صبراً حتى ملأه، بلا جزع، ولا استعجال، ولا يأس، بل كان يشكو، مستعيناً بالله وحده على ما لاقى من ألم فقد ذهب ولده حبيباً وأكاذيب)[1].

وكذلك يتجلى الصبر في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: 102]. روعة الإيمان والطاعة والتسليم. ... فماذا يكون من أمر الغلام الذي يعرض عليه الذبح، تصديقاً لرؤيا رآها أبوه؟ إنه يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ إنه يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب. ولكن في رضى كذلك وفي يقين.. "يا أبت".. في مودة وقربى، فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده، بل لا يفقده أدبه ومودته "افعل ما تؤمر.." فهو يحس ما أحسه من قبل قلب أبيه، يحس أن الرؤيا إشارة، وأن الإشارة أمر، وأنها تكفي لكي يلبي وينفذ بغير لجلجة ولا تمحل ولا ارتياب، ثم هو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال؛ والاستعانة بربه على ضعفه، ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية،

---

[1] الصابرين، أحمد عبد الرحيم السايح، الفلسفة الجمالية في عالم القرآن "الإسلام يتحدى" ج3، ص43. إن شاء الله من الصابرين".. ولم يأخذها بطولة، ولم يأخذها شجاعة، ولم يأخذها اندفاعاً إلى الخطر دون مبالاة، ولم يظهر لشخصه ظلاً ولا حجماً ولا وزناً.. إنما أرجع الفضل كله لله إن هو

ما يطلب إليه، وأصبره على ما يراد به: "ستجدني إن شاء الله من الصابرين" يا للأدب مع الله! وبالروعة الإيمان، وبالذبل الطاعة، وبالعظمة التسليم!)[1]
وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

لا شك أن الداعية إلى الله سيواجه محناً قد تكون سبباً في ثنيه عن دعوته، فتوجه لقمان بنصيحة ذهبية لابنه وهي أن يصبر على ما أصابه، وفيه إشارة إلى حتمية وقوع الأذى، وهذا من عظيم تربيته لابنه وإرشاده للخير وتنبيهه إلى وعورة الطريق وشدتها، والمطلوب التحمل والصبر.

المطلب السادس: صبر الأنبياء على مواجهة سخرية أقوامهم.

أن من أعظم الصفات التي أكد عليها القرآن الكريم والتي ظهرت جليا في حوار الأنبياء والمرسلين صفة الصبر، الصبر في دعوتهم على كل ما يواجهونه من أقوامهم من تعنت وسخرية وإيذاء ويظهر ذلك في قول الله تعالى ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم/12].

إن هذه القيمة تبرز لنا ما يعانيه أنبياء الله وأولياؤه الصالحون في مواجهة الشرك وأهله عبر بعث الرسالات وتاريخها، فنوح عليه السلام يدعو قومه إلى التوحيد وعبادة الله فيلقى من قومه الاستخفاف به، حتى إنه بلغ منهم أنهم يضعون أيديهم في آذانهم استخفافًا بنوح ورسالته، ومحمد ﷺ يرمى بالحجارة في الطائف، وهو لا يعدو أن يكون واحدًا من الناس، وتدمى قدماه الشريفتان، وإبراهيم عليه السلام يحطم أصنامًا لا تضر ولا تنفع فيقال: (من فعل هذا)؟ فيقال: (فتى يقال له إبراهيم) ولفظ (يقال له إبراهيم) تحتمل وجهين:
الأول: أنهم لا يعرفون من يحطم هذه الأصنام.
الثاني: أنهم يعرفونه ولكنهم يستخفون به.

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص188.

فلما علموا أنه إبراهيم عليه السلام هو الذي حطم أصنامهم وسفهها قاموا بإحراقه في النار، وهذا استخفاف؛ بل إنه قام واضح لقوله: (فتى) في قولهم (سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) أن الله يسخر له وجهان عند المفسرين:

الأول: أنه كان شابًّا صغير السن حينما آتاه الله رشده، فاستنكر عبادة الأصنام وحطمها هذا التحطيم.

الثاني: أنه يقصد به إلى تصغير شأنه بدليل تجهيلهم لأمره في قولهم: (يقال له إبراهيم) للتقليل من أهميته وإفادة أنه مجهول لا خطر له"[1].

المطلب السابع: الوفاء بالعهد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يوسف: ٦٦]

قال رسول الله ﷺ: "آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان"[2]. الله العباد على ذمه واستقباحه، يقول ابن القيم -رحمه الله: "وإخلاف الوعد مما فطر الله العباد على ذمه واستقباحه، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح"[3].

قال ابن كثير: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: تحلفون بالعهود والمواثيق ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ إلا أن تغلبوا كلكم ولا تقدرون على تخليصه ﴿ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ ﴾ أكده عليهم فقال: ﴿ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[4].

---

1 قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2386.

2 رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم33، ج1، ص16.

3 ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط2، (1395هـ)، ج2، ص47.

4 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص399.

وهذا يتبين لنا ما كان لهذا العهد من أثر في نفوس إخوة يوسف حتى إن أحد إخوة يوسف عليه السلام لم يقبل العودة لما أخذ يوسف أخاه أسيراً ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمُونِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: ٨٠ – ٨٢] فكانت هذه القيمة التربوية ناجعة نافعة.

المطلب الثامن: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن مما أكده القرآن من الأعمال؛ بل جعلها من الأمور التي ميز بها هذه الأمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران/110] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يقع من الجماعة المسلمة فهو كذلك يقع من الفرد المسلم، وقد شمل الأمر بالمعروف الإتيان بالأعمال الصالحة كلها على وجه الإجمال ليتطلب بيانه في تضاعيف وصايا أبيه، قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [لقمان/١٧] كما شمل النهي عن المنكر اجتناب الأعمال السيئة كذلك، والأمر بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يقتضي إتيان الأمر وانتهاءه في نفسه، لأن الذي يأمر غيره بفعل الخير وينهى عن فعل الشر يعلم ما في الأعمال من خير وشر ومصالح ومفاسد، فلا جرم أن العقلاء على حسنه، والمنكر ضد ذلك[2].

والأمر بالمعروف: ما حسنه الشرع وتعارف يتوقاها في نفسه بالأولوية من أمره الناس ونهيه إياهم، فهذه كلمة جامعة من الحكمة والتقوى، إذ جمع لابنه الإرشاد إلى فعله الخير وبثه في الناس وكفه عن الشرور وزجره الناس عن ارتكابه[1].

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص165.
2 طنطاوي، التفسير الوسيط، ج1، ص690.

كما أن الأمر بالمعروف: هو أمر النفس والغير بما هو معروف شرعًا وعقلاً، كمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال مما يهذب النفس ويدعو إلى التحضر والتمدن، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/9-10].

والنهي عن المنكر: هو منع النفس والآخرين عن المعاصي والمنكرات المحرمة شرعًا والقبيحة عقلاً والتي تغضب الله تعالى وتوجب عذاب جهنم"[1]،

1 الزحيلي، التفسير المنير، ج21، ص149-150.

المبحث السادس: القيم الاجتماعية

عني القرآن الكريم بالمجتمع بناء وتأسيسًا وتصحيحاً له، وتظهر هذه العناية من خلال ما عرضه القرآن في حديثه عن الأسرة باعتبارها اللبنة الأولى في بناء أي مجتمع حضاري، وقد هيأ القرآن الكريم هذه العلاقة الأسرية وجعل لها بيئة يجب أن تكون مبنية بشكل صحيح، وهذا لا يتحقق إلا في اختيار الأزواج على أسس الكفاية الأخلاقية.

كما يبرز اهتمام القرآن الكريم بالمجتمع من خلال استخدام الأساليب الوقائية لجعل المجتمع نظيفًا ونقيًا مما يعكر صفوه، ومن ذلك محاربته لظواهر اجتماعية نبه إليها من خلال حوار الآباء مع الأبناء، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: محاربة الكذب والنفاق الاجتماعي والحسد وغيرها من الظواهر التي تخل بأمن المجتمعات وتحدث إرباكًا في مسيرته الاجتماعية، وسأقف في هذا المبحث على أبرز القيم الاجتماعية التي تضمنتها حوارات الآباء مع الأبناء وسيأتي تفصيلها.

المطلب الأول: الكفر والضلال سبب للقطيعة والفساد الاجتماعي

تتضح هذه القيمة جلية اجتماعيًا في هذه الأسرة المكونة من الأب والأم والابن، وكل من الأب والأم بمثابة المصلح الاجتماعي الذي يريد أن ينقذ هذا الابن من الكفر، فيستهزئ بهما رغم ما يربطه بهما من علاقة هي الأقوى بين العلاقات الاجتماعية قائلاً لهما: ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ [الأحقاف/17].

ويظهر من هذه الآية أن وعيد الأبوين الذي تضمن التخويف لأبنهما لم يكن مقصودًا لذاته وإنما كان الهدف المرجو هو الشفقة والرحمة بابنهما العاق، وهذا ما يجليه القرآن الكريم للمتدبرين ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾، فكأن هذا الويل الذي يخوف به الأب والأم ابنهما لا يراد منه التخويف والإرعاب، إنما يراد منه الحرص على الإيمان، وكأن هذه الآية الكريمة وتحديدًا ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ تلمح ولو أنها لم تصرح أن الذي يفرق بين رابطة الدين والنسب هو فارق الكفر والإيمان.

ولقد قدم القرآن الكريم نماذج على شاكلة هذا النموذج، فها هو نوح عليه السلام يعرض دعوته على ابنه مشفقًا عليه تأخذه رابطة الأبوة وعاطفتها ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ [هود/42] يريد أن ينقذه من الكفر ويدخله في الإيمان، ولكن الابن وقف موقف المنكر للبعث، فابن نوح عليه السلام وهذا العاق لوالديه يشتركان في الجريمة نفسها، فقد كذب ابن نوح عليه السلام بالبعث، وأنكر العاق لوالديه البعث أيضًا.

وهما يشتركان أيضًا في جرم لا يقل جرمًا عن سابقه، وهي قضية اجتماعية أصبحت تؤرق مجتمعاتنا وتدمر بعضها وهي قضية العقوق للوالدين والتمرد عليهما، وهذه القضية الاجتماعية ضافية في هذه القصة وفي غيرها من قصص القرآن الكريم، فهذا المنكر للبعث يعق والديه ويستهزئ بهما متضجرًا منهما قائلاً لهما: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ مع أنهما قدما له النصح مصحوبًا بشفقة ورحمة ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يسألانه أن يغيثه ويوفقه للإيمان[1]. لكن أحاسيسه ومشاعره وعقله قبل ذلك لم تشعر ولم تفهم قيمة الإيمان أولاً، ثم لم تقدر قيمة العقل ثانيًا، وهذا ما فديدنا وقرآننا ورسولنا -ﷺ- لا يجامل على حساب يتضح من ربط قوله هذا بما بعده: ﴿وَمَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾ [الأحقاف/17]، فالأبوي فوالأخوي والنسب وغيرها هي روابط ثانوية وإلا فهذه روابط العقيدة والإيمان وصلة التقوى هي الله ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات/13].

[1] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص74.

والعجيب أن المتدبر لهذه الآية التي تضمنت هذه القيمة يجد أن الآيات التي تسبقها في سورة الأحقاف توصي بالوالدين إحسانًا، يقول سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾[1] [الأحقاف/15].

ومن المعاني الجميلة التي أضافتها الآية الكريمة أن الوالدين أسندا البعث إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا دليل أبو السعود رحمه الله في تفسيره: "وله تعالى: ﴿ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: "أي البعث، أضافاه إليه تعالى تحقيقًا للحق، وتنبيهًا على خطئه في إسناد الوعد إليهما"[2].

المطلب الثاني: السلوكيات الخاطئة والأخلاق السيئة لها أثر في الإفساد الاجتماعي.

عبارة يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ [يوسف/18]، تدل دلالة واضحة على تكذيب أبنائه وإن لم تصرح بذلك، وهذه الظاهرة الاجتماعية التي عرضت في هذه الآية تتضح جلية في قصة إخوة يوسف عليه السلام ومن خلال الجو الذي يزرع الإخوة: معهم، فإذا بهم يدعون أنهم يتسابقون ويلعبون دونه!!

---

[1] قال السيوطي –رحمه الله–: "أخرج البخاري من طريق يوسف بن ماهان قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري. وأخرج عبد الرزاق من طريق مكي أنه سمع عائشة تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر وقالت: إنما نزلت في فلان وسمت رجلاً. قال الحافظ ابن حجر: ونفي عائشة أصح إسنادًا وأولى بالقبول". السيوطي، لباب النقول بحاشية تفسير الجلالين، ص668.

ومن أدلة نفي كون الآية نزلت في عبد الرحمن أيضًا: أنه ﷺ لم يكن كافرًا بالبعث، وقد كان صغيرًا لما نزلت هذه الآية المكية.

2 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص74.

ب- إن القميص ملطخ بالدم ولكنه لا تبدو عليه آثار تمزيق ولا خرق، مع أن الذئب إذا أكل إنسانًا يبدأ بقتله من ناحية الرقبة فيكون القميص أول ما يمزق، أما أن يأكل ذئب إنسانًا ثم لا يصاب قميصه إلا بالدم فهذا غير معقول وبناء على ما سبق فقوله سبحانه: ﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ [يوسف/18] "[1].

"يصور للقارئ والسامع أنه موضوع على ظاهره وضعًا متكلفًا، ولو كان من أثر افتراس الذئب له لكان القميص ممزقا والدم متغلغلا في كل قطعة منه"[2].

ج- إن صيغة كلامهم تحمل في طياتها الكذب إذ قالوا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف/17] أي إنهم عندما يصدقون يشك في كلامهم، فكيف بهم الآن والكذب واضح في كلامهم!

من خلال هذه المعطيات كشف يعقوب عليه السلام كذبهم ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ "[3].

"وكان مجيئهم لأبيهم ليلاً وإنما جاؤوا في هذا الوقت بالذات ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة، بحيث لا ترى ملامح وجوههم التي قد تظهر كذبهم، ولذا قيل: لا تطلب الحاجة هذا بالليل أن ظاهرة الحيلة الكذب في ظاهر ينجلي ولا يتزين بالنهار على ذنب فيه تدلج في إذلاعه وقد حاربها الإسلام، لأن فيها تقطيعًا للأواصر الاجتماعية، ناهيك عما لها من آثار سيئة في تغيير الحقائق وقلبها إلى وجه الباطل، فانظر مثلا كيف جعلت هذه الظاهرة إخوة يوسف عليه السلام يكذبون على أبيهم فقطعت العلاقة بين الأب يعقوب عليه السلام وابنه يوسف عليه السلام وذلك بأسلوب الحيلة الذي تحدثت عنه في بداية هذه القيمة، وقد نبذ القرآن الكريم ظاهرة الكذب فقال سبحانه: (فويل للمكذبين) وقوله سبحانه

[1] الزين، مدرسة الأنبياء، ص126.

[2] رضا، تفسير المنار، ج12، ص267.

[3] الزين، مدرسة الأنبياء، ص126.

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص96.

للمكذبين) وقوله سبحانه وقد عد النبي ﷺ آية المنافق ثلاث وذكر الكذب في مطلعها فقال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب...)[1] الحديث.

المطلب الثالث: حرص الآباء على الأبناء وأثره في التربية والتفعيل الإيجابي لدورهم في المجتمع.

وتظهر هذه القيمة من خلال نصح لقمان لابنه وحرصه الدائم على تربيته، وأن يكون هذا الابن فاعلاً في مجتمعه وذلك من خلال ما قدمه له أبوه من نصائح تربطه بخالقه قائلاً له: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ [لقمان/13]، وكذلك وصية الله تعالى بالوالدين باعتبارهما صمام أمان لتربية الولد بشكل خاص وتربية المجتمع بشكل عام قائلاً سبحانه: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾ [لقمان/14]. وكذلك يوصيه بالعبادة، لأن العبادة تربطه بالله عز وجل، وكذلك فإنها تربطه بمجتمعه كالصلاة مثلاً ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وكذلك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر باعتبارها سنة طيبة في المجتمع، منها قوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا ﴾ ويقصد بالمشي هنا "المشي في تخايل وتفخة وقلة مبالاة بالناس وهي حركة ذميمة يمقتها الله ويمقتها الخلق وهي تعبير عن شعور مريض خلال الذات وتجيء في سياق التوجيه الذي[2]

ولقد حذر لقمان في ختام وصاياه لابنه من الوقوع في أمراض اجتماعية يكرهها الله سبحانه وتعالى ويكرهها الخلق وهي تعبير عن شعور مريض خلال الذات وتجيء في سياق التوجيه الذي[2] وجهه بها ليكون هذا الابن مؤثرًا وفاعلاً في مجتمعه.

---

1 البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم: 33، ج1، ص121. مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم: ج2، ص125.

2 قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2790.

ومن جميل ما صنعه لقمان أنه استخدم في تحذيره لابنه من الوقوع في الأمراض الاجتماعية أسلوبًا هو الأجمل والأرقى قد أطلِق عليه الأسلوب الوقائي الذي يعتمد العلاج بالمناسب والحرص على الأمر القليل وقوعها، وهذا الاجتماعي من خلال الإرشادات والتوجيهات التي تحوي في طياتها إخراج جيل صالح في تربيته، فها هو يعقوب عليه السلام يوصي أبناءه عند ذهابهم إلى الملك أن لا يدخلوا من باب واحد وأن يدخلوا من أبواب متفرقة، ويلحظ في هذا أن يعقوب عليه السلام يريد أن يعزز عند أبنائه مبدأ التخطيط وذلك من خلال وصيتهم أولاً ثم دخولهم من الأبواب المتفرقة، وهنا يريد يعقوب عليه السلام أن يعيد لأبنائه روح الثقة التي انتزعت منهم سابقًا حين جاؤوا أباهم عشاء يبكون يتحججون بأن الذئب قد أكل يوسف عليه السلام، كما يظهر حرص يعقوب عليه السلام على أبنائه من خلال دعوتهم إلى الدخول من أبواب متفرقة، وذلك حرصًا على حفظهم من كل أنواع الطبقية لا على أساس العلاقات الاجتماعية، بل على أساس الكفر والإيمان، فقد قسم الله سبحانه وتعالى هذه الجزئية: طبقة أهل الإيمان في ثنايا قصة نوح عليه السلام وآمنت به وركبت معه في السفينة ولربما أسميها الطبقة المتواضعة: طبقة أهل الكفر ورأسها هنا ابن نوح عليه السلام الذي رفض بكل قوة وتكبر أن يركب مع والده في السفينة، ويتضح تكبره في ركونه إلى ذلك الجبل فتكبره على والده مع صراحة القرآن الكريم في زيادة كبريته وإجحافه، وهذه مثل هذه الفئة هي مثل فئة الإيمان وأهل الكفر، ومن ذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون، فموسى الذي آمن بالله تعالى يمثل فئة الإيمان أما فرعون وزمرته فيمثلان فئة الكفر، ومثل ذلك معظم قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم.

المطلب الرابع: اختلاف المعتقد والتصور وأثره في الفرز الاجتماعي.

[1] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج13، ص18-19، البيضاوي، أنوار التنزيل، ج3، ص170، الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، ج18، ص176-178، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص148-149.

ومثل هذا الفرز الاجتماعي بين أهل الإيمان وأهل الكفر يجليه لنا النبي ﷺ في الحديث الصحيح في قضية مهمة وهي قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حديث السفينة الذي قال فيه ﷺ: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا هم استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"[1].

فالسفينة: إما أن تكون المجتمع أو الوطن. الذين يرون المنكر فلا يقومون بتغييره، وهؤلاء هم المثبطون الذين ورد ذكرهم في أصحاب السبت ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف/164].

الثالثة: المؤمنون حقا الذين يأخذون على أيدي أولئك العصاة بنصحهم لتنجو السفينة، فكأن حال السفينة يمثل حال المجتمع.

المطلب الخامس: التغيير الاجتماعي حاجة بشرية تمليها توجيهات الوحي.

تظهر هذه القيمة في دخول إبراهيم عليه السلام في حوار صريح مع أبيه وقومه، فها هو إبراهيم عليه السلام يطرح على قومه سؤالاً لا لمجرد السؤال بل ليقر سنة ألا وهي سنة التغيير الإيجابي في حياتهم قائلاً لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء/52] فأجابوه بإجابة لا تدل على فهم للأمور ولا تدل على أن عقولهم تفكر ولو للحظة ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنبياء/53] وهذه الحجة أبطلها إبراهيم عليه السلام الذي يريد التغيير، وكأن لسان حاله يقول لهم: إنه ليس كل ما عبده آباؤكم من قبل يجب أن يكون عبادة صحيحة فقال لهم: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنبياء/54]. وهذا يبين لنا أن قوم إبراهيم عليه السلام بقولهم هذا الذي لا يعتمد على حجة دامغة ولا برهان جلي هو

1 البخاري، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم: 2361، ج6، ص3107.

دامغة ولا برهان جلي هو معوق وسبب لتغيرهم إلى الأفضل وأما إبراهيم عليه السلام الذي حاورهم وجادلهم وطرح عليهم الأسئلة وبين لهم فساد عقيدتهم لهو سبب مباشر ومساهم في سنة ولما كان هذا الدين منزلاً من عند الله تعالى وعلم الأنبياء ذلك، فإنهم تحروا ألا يجاملوا وألا يداهنوا على حساب هذا الدين، والمداهنة التي اقصدها هنا أنهم لم يقدموا تنازلات أو مداهنات تمس العقيدة أو أصول دعوتهم، ومن أبرز هؤلاء الأنبياء- عليهم السلام: إبراهيم الخليل الذي لما علم إبراهيم- عليه الصلاة والسلام سخافة ما يعبد قومه من الأصنام والأوثان التي يذحتونها كان موقفه الرائع الذي يلفت الأنظار إلى قضية اجتماعية تلامس واقع المجتمعات وهي قضية ما تدين من منطلقات اجتماعية عندهم يسمى بالاتفاق الاجتماعي، وتوفعها ولكنها يعرف بالمجاملة على حساب العقيدة والدين: فهي عبادة آبائهم وأجدادهم، لكن إبراهيم عليه السلام كان مغيرًا لهذه العادة ومنكرًا لها، والدليل على ذلك أنه دعا أباه لعبادة الله تعالى ولم يجامله في ميدان العقيدة، وبين له أن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع، وجعل عبادتها من الضلال المبين قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام/74]. وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحًا في ذلك نصيحة ربه عز وجل"[1].

الفصل الثاني: أثر القيم على الفرد والمجتمع.

من خلال ما قدمته سابقاً تبين لي أهمية القيم في جميع أنواعها، التربوية والاجتماعية والعبادية والأخلاقية وغيرها، وتظهر أهميتها جلية من خلال آثارها التي تظهر على الفرد والمجتمع، إذ هي ثمرة هذه القيم.

---

1 أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص191-192.

وسأقف في هذا الفصل معرفًا ومحللاً لانعكاس القيم التي قمت بدراستها وانعكاسها على الفرد والمجتمع على النحو التالي:

المبحث الأول: آثار هذه القيم على المستوى الفردي.

وقد لاحظت بعد دراستي لمجمل هذه القيم أن لها آثارًا على الفرد أجملها فيما يأتي:

المطلب الأول: آثارها في تكوين الذات روحياً وعقلياً.

1-عبادة الشيطان واتخاذه وليًا من دون الله تورث المهالك في الدنيا والآخرة.

2-فالأبناء وربطهم بالعبادات يجعلهم قويي الصلة مع بربهم ومؤثرين وفاعلين في مجتمعاتهم كما حصل ذلك في نصح لقمان لابنه.

3-أصح الوصايا للأبناء من قبل آبائهم في حال كبرهم وصغرهم فيه إنعاش لفكرهم وتثبيتهم على الدين والإيمان كما حصل في نصح إبراهيم -عليه السلام- لأبنائه ووصية يعقوب -عليه السلام- لأبنائه.

4-الثقة بالله عز وجل والثقة به يجعلان الفرد يسلم بقضاء الله تعالى ويقدم الغالي والنفيس من أجل دينه وهذا ما أوضحه نموذج نوح -عليه السلام- حين سلم لأمر الله سبحانه ورضي بقضائه حين أغرق ابنه قائلاً -عليه السلام-: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود/47].

ويمثل هذا الأثر أيضًا إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- اللذان سلما لأمر الله تعالى وقدره عند ذبح إبراهيم لابنه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصافات/102].

5-عدم القنوط واليأس من الفرد المسلم فيه مغفرة للذنوب ورفع للدرجات، أما تسرب الإحباط واليأس إلى نفس المسلم فيه إشارة إلى ضعف الإيمان ويمثل هذا النموذج في عدم القنوط واليأس يعقوب -عليه السلام- حين شكا إلى الله عز وجل بثه وحزنه على فقد يوسف -عليه السلام- وبقي الأمل متعلقًا بالله عز وجل، وهذه قمة الإيمان.

6-الصبر على الأذى وتحمل المشاق في سبيل الله يوجب رحمته ولطفه بعباده وأنبيائه -عليهم الصلاة والسلام- ويمثل هذا لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام- واتباع نهج أنبيائه -عليهم السلام- يورث الشفاعة، والتنكر لله وأنبيائه يورث العذاب ويمثل ذلك الأثر والد إبراهيم -عليه السلام- الذي كان سبباً لرسالة إبراهيم عليه السلام- جعل من أعظم الظلم لأنه يورث إحباط الأعمال ويمثل هذا الأثر لقمان -عليه السلام- حين وعظ ابنه قائلاً: (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم). خطه وعذابه يوم القيامة ويمثل هذا الأثر قصة الكافر الذي قتل والديه يحقق مغفرة الزلات وجلب الرحمات من رب السماوات ويتضح هذا الأثر جليًا في قصة نوح -عليه السلام- حين دعا ربه أن ينجي ابنه الذي عصى أمر ربه. بربه وتكسب الإنسان وتعلم أن الصبر طبيعي معقول وضروري، يؤدي إلى حماية الفرد، والمحافظة عليه، وهو في درجاته المعقولة صفة طيّبة يجب الاتصاف بها أما إذا كان الخوف كثيرًا ويتكرر الوقوع لأي ظاهرة اجتماعية يكون شيئًا طبيعيًا ومثل الخوف بالإيجابي إبراهيم وقول ابن -عليهما السلام- إلى عدم الخنوع واليأس بل تجعل تعلقه واتصاله بربه أكثر فأكثر ويمثل هذا النموذج يعقوب -عليه السلام- الذي صبر واحتسب فقده لابنه عندما أبلغه أبناؤه بخبر أكل الذئب له قائلاً: (فصبر جميل... تصفون).

المطلب الثاني: آثارها في تعديل السلوك.

1-التحلي بالأخلاق تجعل المسلم يخاف الله عز وجل، وهذا الخوف منه سبحانه يجعله حائزًا على الأجر والثواب، كما أن هذه الأخلاق التي تضمن الخوف من الله تعالى 2-القيام بجعة الإسلام لا يتكسان مب المواقب لي الداعية المسلم فيطمعًا تا بجنتأليف قلوبهم وسبب المسلمين صوب مراطًا مرجستقيمًا عوكًا قويمًا 3-في تواضعهم مع والصبر وعدم الكبر صفات الداعية المسلم التي تجعل محبة الناس تزيد له ومن تواضع لله تعالى رفعه الله ومن تكبر وتجبر وتجاوز حده فإن الله لا يحب المتكبرين.

4-التعامل والحكم على الفرد يكون على أساس الإيمان والكفر وليس على أساس علاقة النسب والقرابة؛ لأن هذا يقتضي أن أهل الإيمان يورثون الجنة وأهل الكفر يورثون النار وهذا غير الواقع في المجتمعات البشرية.

5-القدوة الصالحة لها أثر كبير في تعديل التصورات والقناعات، فالقدوة الصالحة تصل إلى القلب بسرعة أكثر من الأقوال المجردة، ولذلك فقد أرسل الله الرسل من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- جميعًا ليكونوا قدوة لأقوامهم في الثبات والتمسك بالرأي وعدم إخضاعه للعقل والفهم الصحيحين يورث المهالك وهذا ما حصل مع ابن نوح -عليه السلام- بحين نضل الأبناء الدماغ ويستجيبون لمظلمهم يولد المحبة بينهم ويعزز الصلات الاجتماعية بينهم أولى في الاعتراف بالخطأ تتدفع الشخص إلى تقويم وتهذيب سلوكياته الخاطئة بالتوبة والاستغفار والعودة إلى الله سبحانه.

المطلب الثالث: آثارها في تعديل التصورات والقناعات.

1-ثقة الفرد بالله عز وجل تورث حفظ الله تعالى لذلك العبد، ومن حفظ الله تعالى في قلبه ولسانه وجوارحه حفظه الله تعالى ص في دعوته يستطيع أن يحدث تغييرًا في المجتمعات إذا توفر لديه الحجة البالغة والحكمة السديدة وهذا ما فعله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- في حواره مع قومه استخدم الطريقة الفلسفية في تجابته وكلامه وتوجيهه لهم فأبوا بعد حين سخافة ما يعبدون من دون الله تعالى تجعل الأولاد يمتثلون لأقوال أبيهم، ويمثل هذا الأثر ما قدمه إبراهيم -عليه السلام- من استجابة فورية لأمر الله سبحانه، وما يمثله ابنه -عليه السلام- عندما أخبره بما أمر الله به فتهيأ نفسيًا وعقليًا لتنفيذ أمر الله تعالى.

4-أسلوب الحوار له أثر كبير في تهيئة الفكرة للمتلقي وإيصالها له كما أن التدرج يرسخ الفكرة في نفس المتلقي ويجعلها أكثر قبولاً عنده، وأمثلة ذلك في الحوارات: إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه ولقمان مع ابنه والكافر مع والديه الأسلوب الأمثل والوقت المناسب في إنكار المنكر له أثر في إقامة الحجة على من يفعله ولفت أنظارهم وردعهم عن منكرهم ويمثل هذا الأثر إبراهيم -عليه السلام- في إنكاره عبادة قومه للأصنام.

6-المحاجة العقلية واستخدام أسلوب التفكر والتدبر في الأشياء من قبل المحاور لها أثر في إقامة الحجة وتجعل الطرف الآخر يقدم تنازلات ما وتجعله كذلك يدخل في صراع مع نفسه نقطة البدء في ميدان الحق، ويمثل هذا النمط من الحوار أكثر القرآن الكريم في حوار إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه وقومه الذين حيرهم في دنياهم وآخرتهم، لأنهم فعلوا ذلك في ضلال مبين. إبراهيم -عليه السلام- الذي أصر على عصيانه لله تعالى واتباعه للشيطان.

المبحث الثاني: آثار هذه القيم على المستوى الاجتماعي.

إن المجتمع المسلم لا يتألف من أفراد متقوقعين على أنفسهم، مستغرقين في ذواتهم، لأنهم يدركون أن ذلك يتنافى مع الغاية من الوجود التي لا تتحقق بغير التعاون واستشعار آصرة الأخوة. لقد حدد الإسلام العلاقة بين أفراد المجتمع، وأرسى الآداب والأخلاق في التعامل والتشريعات التي تهدف إلى تحقيق المجتمع المتماسك والمتعاون والمتكافل، وإن الهدف منها تنظيم الحياة في المجتمع الإسلامي على أساس مبادئ العدل والمساواة

العدل والمساواة والحق التي جاء بها الإسلام. إن مجتمعًا تسري في أوصاله مثل تلك القيم، لا يمكن أن يتسرب إليه الوهن والاختلال، لأن أفراده لا يكتفون بالوقوف عند حدودهم، فذلك حد أدنى، بل إنهم ليتجاوزون ذلك إلى تقديم العون إلى بعضهم بعضًا، وتفريج كرب بعضهم بعضًا، عملاً بما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة»[1].

المطلب الأول: بناء النظام الاجتماعي المتوازن على أساس القيم الإسلامية.

أ- قيم التصور:

1-العادات التي تورث من الآباء يجب أن تعتمد في أخذها من قبل الأجيال على أساس شرعي لا على أساس اجتماعي لأن بعض العادات الموروثة من الآباء يكون لها آثار سيئة على المجتمعات بل وتدميرها أحيانًا كما حصل ذلك مع قوم إبراهيم -عليه السلام- وغيرهم إذ قالوا ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف/22]. وهذا الجواب منهم إن لم يكن مبنيًا على دليل شرعي أو عقلي فإنه سيوردهم المهالك بل الأدهى والأمر نار جهنم أعاذنا الله جميعًا منها. والهادف الذي يبنى على الإقناع يحقق إقامة الحجة ويعزز قيمًا اجتماعية وتربوية وغيرها كحوار إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه وحوار نوح -عليه السلام- مع ابنه وغيرها من الحوارات التي تدل على هذا الأثر. وعليه يجلب الأمان للمجتمعات ويحقق الألفة والمحبة بين الآباء والأبناء وهذا ما يظهر من دعاء إبراهيم -عليه السلام- لأبنائه وذريته.

---

1 البخاري، صحيح البخاري، كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم (2310). ومسلم، صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآدب، باب: تَحْرِيم الظُّلْم، رقم (6743).

ب- قيم الأخلاق:

1-التحلي بالأخلاق واتخاذها منهجًا يخلد ذكر العبد في الدنيا ويكون الأقرب مجلسًا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

2-السلوكيات الخاطئة والأخلاق السيئة كالكذب مثلاً لها أثر في تغيير الحقائق الصحيحة وقطع العلاقات الاجتماعية المتينة بين الأقارب والإخوة كما حصل ذلك في قصة يوسف -عليه السلام- مع إخوته.

ج- قيم العلاقات الاجتماعية.

1-عقوق الوالدين من قبل أبنائهم فيها تعجيل لعقوبة الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة؛ لأن عقوق الوالدين قد عده النبي -صلى الله عليه وسلم- من الكبائر، ومثل هذا العقوق يدمر المجتمعات ويفتت الروابط الأسرية كما حصل في قصة نوح -عليه السلام- مع ابنه وقصة العاق لوالديه كما ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة الأحقاف. كل الأحيان ينمي سرعة الاستجابة لنصائح آبائهم ويغير في سلوكياتهم للأفضل.

3-التحذير من الأمراض الاجتماعية له أثر طيب في الوقاية منها والتقليل من أخطارها كما حصل ذلك مع لقمان حين وجه ابنه من الخيلاء وعدم رفع الصوت لغير حاجة والتكبر على الناس وغيرها من الأمراض الاجتماعية.

المطلب الثاني: تعديل السلوك الجمعي وضبطه.

1-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوجب الخيرية للأمة المسلمة وهو باب للخير وأداة لسد المنكرات كما أنه طريق للإصلاح والتغيير للأفضل وهذا حاصل في الحوارات بشكل عام وبحوار لقمان مع ابنه بشكل خاص.

2-الصلاة تقوي صلات المجتمع ببعضهم بالتقائهم في المساجد خمس مرات في اليوم والليلة وكذلك في الجمع كما أن الصلاة تعلم المجتمعات تهذيب سلوكهم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ويمثل هذا الأثر لقمان -

المنكر ويمثل هذا الأثر لقمان -عليه السلام- بقوله لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [لقمان/17].

المبحث الثالث: أثر غياب القيم.

لما كان التمسك بالقيم علامة تميز الأمم عبر تاريخها، فإن غياب القيم عن أسرنا ومجتمعاتنا له آثار سيئة. ويظهر ذلك جليًا من خلال ما قمت باستنباطه من قيم وتصنيفها حسب ما ذكر في لب الرسالة، وكان لزامًا علي بعد ذلك أن أقف في هذا المبحث متدبرًا ومتأملاً لموضوع غياب القيم، وإن كنت لم أجد دراسة متخصصة تسعفني للكتابة في هذا المحور، ولكنها محاولة مني عساها تكون موفقة تسعف الدارسين، وتضع لهم نقاطًا لكتاباتهم.

إن أية علاقة اجتماعية يجب أن تؤسس على ثلاثة مرتكزات لها علاقة مترابطة ببعضها البعض وهي مكملة لرسالة الإسلام وهذه المرتكزات كما رأيتها من خلال كتابتي للرسالة والنظر في بعض قصص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- تتلخص في الإيمان بالله -عز وجل- أو ما يسمى بالمحور العقدي، والمحور الأخلاقي والمحور العبادي، وغياب أحد هذه المرتكزات التي تشكل فيما بينها نظامًا محكمًا دقيقًا سيؤدي ذلك إلى الإخلال بمجموع القيم، وأرى أن المرتكز الإيمان الأول هو رسوا الإيمان الأنبياء (العقيدة)؛ لأن الإيمان والتوحيد الحين هم من بعا الأدهم، فقية بالتدأوا يغرتبشه كقيمعليهمة في بأسواقهم والمرتكعرتهاتفواغيابهمي صا سعيد الأيكون لهتمماتالأفإن القبالنالفكيم أوطاقةوترك بالقيم الأخرى، ه ترسيخ قيمة الإيمان والتوحيد في ابنه حيث قال له: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ ﴾ [لقمان/١٣]، وكذلك الأنبياء الآخرون الذين رسخوا هذه القيمة في مجتمعاتهم كهود -عليه السلام- الذي قال لقومه ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف/٦٥] قبل كل شيء، ومثله الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- عرضوا لها القيمذه القيمة يعنة؛ لأني التفلن آمت من بن الله -عيم الأخجل ى وبمعنًا يخلفي لمخن رالله إن سبحانظوتعت مالى- رق قيمذلة الإيوجان وفإن الإيمسان وأن يتفلدق ثتعملمن القيم الأخرى كالأخلاق مثلاً كحال قوم صالح الذين آثروا معصية الله -سبحانه وتعالى- على رحمته بعدم إيمانهم برسالة نبيهم -عليه السلام-، فكانت نتيجة هذا التفلت والاستكبار أن أخذتهم الصيحة عقوبة لهم، قال تعالى عنهم: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ ﴾ [هود/٦٧]. وهذا يعني: إن من آثار التفلت من الأخلاق والإيمان تعجيل العقوبة من الله سبحانه وتعالى في الدنيا قبل الآخرة.

كما حصل أيضًا مع قوم شعيب -عليه السلام- الذين خالفوا أمر الله سبحانه وتعالى بعبادته أولاً، ثم بالوفاء في الكيل والميزان، وعدم الإفساد في الأرض، وكل ذلك يعد من الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ولكن فريقًا من قومه كفروا واتبعوا أهواءهم وخالفوا أخلاق نبيهم -عليه السلام- فكانت لهم العقوبة بأن أخذهم الله تعالى بالرجفة فكانوا من الخاسرين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأعراف/٩٠-٩١].

ومن عجيب صنع القرآن الكريم أنه جمع بين العبادة والإيمان والأخلاق في سورة واحدة هي سورة (المؤمنون) ولعل هذا الاسم يحمل في طياته الكثير من المعاني، فالمؤمن الحق هو المؤمن الذي يؤدي العبادات على أكمل وجه، ولا يرتكب الكبائر، فيحافظ على صلاته ويداوم عليها، ويحفظ فرجه ويحصنه، ولا يقع في الجريمة النكراء (جريمة الزنى)؛ لأن الصلاة كفيلة بنهيه عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت/٤٥].

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"[1].

فالذي يصلي ويزني سيتفلت من قيم أخرى إن وجدت فيه أصلاً. وسيصبح يعمل الفواحش.

---

1 البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الأشربة، باب: قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾ الآية [المائدة/٩٠]، رقم (5256). ومسلم، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي..، رقم (100-105)

كما ذكرت سورة (المؤمنون) جملة من صفاتهم أنهم يؤدون الزكاة وهي عبادة بالإضافة إلى أنها أخلاق، والدليل على ذلك قوله سبحانه ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة/١٠٣]، وقد لاحظت أن الكثير من العبادات تقترن بكثير من الأخلاق وأذكر مثالاً لا للحصر قصة لقمان مع ابنه قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [لقمان/١٧]. فالصلاة عبادة والأمر بالمعروف خلق عظيم، فكلاهما يكمل الآخر، فالتفلت من الصلاة تفلت من المعروف؛ لأن الصلاة من المعروف الذي يؤجر عليه الإنسان المسلم، وكذلك باقي الأخلاق التي حث عليها لقمان ابنه كعدم التكبر وخفض الصوت؛ لأن من تكبر على الناس ورفع صوته فإن هذا يؤدي إلى كراهية الناس له فالمطلوب أن الأخلاق والعبادات والإيمان كلها تشكل بمجموعها قوة للأمة المسلمة فإذا كانت أخلاق المسلمين وعباداتهم على ما يرام فإن قوتهم هي الغالبة، وأما إذا كانت هذه المرتكزات بمجموعها هشة عندهم فإن ذلك يضعف من هيبة الأمة المسلمة وغياب أخلاقها، وسيشكل ذلك دمارًا محتمًا لها إن لم تعد لسابق عهدها.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين، أما بعد هذه خاتمة رسالتي التي أضع فيها بعد التوكل على الله سبحانه أهم النتائج التي توصلت إليها، كما أضع بين يدي القارئ الكريم أهم التوصيات وأتمنى أن تؤخذ على محمل الجد والعناية، ولقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولاً: أن للحوار أهمية بارزة في تحقيق التواصل الإنساني والحضاري، وقد أولاه القرآن الكريم اهتمامًا واضحًا في أساليبه بعامة، وفي مجال القصص القرآني بشكل خاص.

ثانيًا: لقد عني القرآن الكريم بموضوع القصص في ترسيخ أهداف القرآن الكلية وأهدافه الخاصة فكان للقصص مكانة موضوعية وأسلوبية في تحقيق ذلك.

ثالثًا: لقد تضمن القصص القرآني أساليب عدة كان أبرزها أسلوب الحوار وظهر هذا الأسلوب جليًا في مجالات عدة بالتوالي بهذين الآيتين الأبلغ وهو متجلية من خلال هذه الأساليب- أعني أسلوب الحوار- فتنوعت هذه القيم وتوزعت في مجالات عدة كان أبرزها وأوضحها قيم التوحيد والإيمان وقيم العبادة والقيم التربوية والأخلاقية وقيم الآداب والأخلاق والقيم الاجتماعية وأخيرًا: إن العلاقة بين الأبناء والآباء هي أقدس العلاقات الاجتماعية، ولكن رابطة الإيمان هي أسمى وأرفع من جميع الروابط الأخرى عند الإنسان المسلم.

سادسًا: إن الحوار الهادف البناء هو ذلك الحوار المؤدب الذي تحكمه الحجة الدامغة والدليل المقنع وهذا ما لاحظته في حوارات الأنبياء عليهم السلام- مع أقوامهم كما في آيتنا الكريم وأبنائهم بالعاطفة الجياشة وسمو الخطاب والهدوء الفعال الذي ينم عن تأدب الأنبياء عليهم السلام- وحواراتهم المختلفة منها القيم العقدية والعبادية والأخلاقية والنفسية والتربوية والاجتماعية وهذا التنوع في القيم يعطي بعدًا هامًا في العمل الدعوي وخاصة في حوارات الآباء مع الأبناء بهذه القيم الإيجابية يزيد المجتمع تماسكًا وترابطًا وزيادة في تآلفه ومحبته وأما التغاضي عن هذه القيم الإيجابية فيزيد المجتمع تفككًا كما أن قطع العلاقات الأواصر والعزيز فإنها بهذه المنظومة القيمية دورًا في تعزيز ربط المجتمع بواقعه كما أن حل المشكلات النفسية ودراستها والاستفادة منها ينعكس إيجابيًا على جو الحوار بين المتحاورين.

التوصيات

وبعد دراستي لهذه القيم فإنني أضع مجموعة من التوصيات قد اجتهدت في تصنيفها بناء على ما رأيته من الحوارات المختلفة بين الآباء وأبنائهم وهي على النحو التالي:

1- برنامج توعية متكامل لتدريب الأسر على تفعيل الحوار بين الآباء وأبنائهم منذ صغرهم، وسماع كل طرف للآخر بكل جدية، والأخذ بالحوار البناء المعتمد على قبول الصواب وتصحيح الخطأ ما أمكن، وذلك من خلال إكساب الابن مهارة إبداء الرأي وتعزيزها بما يراه الوالدان في الأسرة.

2- تضمين الحوار المتضمنة في القرآن الكريم وتوعية النشء بها من خلال المناهج الدراسية والمسابقات الجامعية ووسائل الإعلام المختلفة.

3- عمل دراسات مستقلة لتعزيز قيم الحوار ضمن برامج ودراسات منهجية.

4- زيادة الاهتمام في كتابة الدراسات النفسية وغيرها في الدراسات العليا وإعطائها اهتمامًا أكبر في الأبحاث والمحاضرات الدراسية.

المصادر والمراجع

-الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، ت محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، 2001م، ط1، 15 مج.

-الأشقر، عمر سليمان، **القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1406-1986.

-الأصفهاني، أبو القاسم الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة-مصر، 1961.

-إلهي، فضل، **إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- أبًا**، مؤسسة الجريسي، الرياض-السعودية، 1م، ط2، 1422-2001.

-الألوسي، محمود البغدادي، **روح المعاني**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

-البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري**، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

-البستاني، محمود، **دراسات فنية في التعبير القرآني**، دار الهدى، بيروت، ط1، 1987م.

-البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل**، ت محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ.

-بادي، عبد الله بن أحمد، **أساليب الدعوة**، مركز كناري، إربد، 1998م.

-بني يونس، محمد محمود، **سيكولوجية الدافعية والانفعالات**، عمّان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2007.

-البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل الشهير بتفسير البيضاوي**، ت محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ.

-الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، **الجامع الصحيح الشهير بسنن الترمذي**، ت إبراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ط، 1998م.

-الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، السعودية-المدينة المنورة، ط5، 1424هـ-2003م.

-ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، لبنان-بيروت، ط3، 9م، 1404.

-الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، ت محمد زكريا يوسف، دار العلم للملايين، لبنان-بيروت، ط4، 6م، 1990م.

-الجيوسي، عبد الله محمد، **التعبير القرآني والدلالة النفسية**، رسالة دكتوراه في علوم الوحي والتراث، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2001م.

-حافظ، عماد زهير، **القصص القرآني**، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1.

-حميد، صالح بن عبد الله، **معالم في منهج الدعوة**، دار الأندلس الخضراء، جدة-السعودية، ط1، 1999.

-أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط**، ت عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية-لبنان-بيروت، ط1، 1422هـ-2001م.

-الخطيب، عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي-بيروت-لبنان.

-ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، **جمهرة اللغة**.

-الرازي، محمد أبي بكر، **مختار الصحاح**، مكتبة الثقافية الدينية-القاهرة-مصر، 1986م.

-الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، سوريا-دمشق، ط2، 1418هـ.

-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ت خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط1، 1م، 1423-2002.

-زيدان، عبد الكريم، **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 2م، 1421-2000.

-الزير، محمد بن حسن، **القصص في الحديث النبوي**، دار اللواء، الرياض.

-الزين، سميح عاطف، **قصص الأنبياء في القرآن الكريم**، دار الكتاب العربي، القاهرة-مصر، 1م، ط7، 1426-2005.

-الزين، محمد بسام رشدي، **مدرسة الأنبياء عبر وأضواء**، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط1، 1م، 2000.

-السايح، أحمد عبد الرحيم، **الفلسفة الجمالية في المنظور الإسلامي**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة-مصر.

-سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 4م.

-الطبري، محمد بن علي، **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 12م، 1990م.

-عبد الله، **مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه**، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1، 1م، 1424-2003.

-أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم الشهير بتفسير أبي السعود**، ت عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 6م، 1419-1999.

-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **لباب النقول في أسباب النزول بحاشية تفسير الجلالين**، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 1م.

-الشعبي، عبد المجيد موسى، **الحوار في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء-كلية الآداب.

-الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-القاهرة-مصر، ط2، 5م، 1964.

-شلبي، عبد الفتاح، **التعبير الفني في القرآن**، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط2، 1421-2001.

-الصابوني، محمد علي، **النبوة والأنبياء -دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام ودعوتهم-**، مكتبة الغزالي، دمشق-سوريا، ط3، 1م، 1985.

-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن الشهير بتفسير الطبري**، ت محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان، ط1، 16م، 1421-2001.

-طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، المكتبة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة-مصر، ط2، 1973.

-ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م، 30م.

-عباس، فضل حسن، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، ط1، 1407-1987، دار الفرقان.

-عباس، فضل حسن، **قصص القرآن الكريم**، دار النفائس، عمان-الأردن، ط2، 1م، 1427-2007.

-عبد الله، عبد الرحمن داود جميل، **منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق**، قدمت هذه الرسالة للحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس-فلسطين بإشراف أحمد بابان، 2010.

-العجيباني، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، **البحر المديد**، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، الدكتور حسن عباس زكي، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط2، 8م، 2002م-1423هـ.

-العدوي، محمد خير محمود، **معالم القصة في القرآن الكريم**، دار العدوي، عمان-الأردن، ط1، 1988م.

-ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1م، ط8، 1404-1984م.

-الغزالي، محمد، **فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء**، دار نهضة مصر، القاهرة-مصر، ط1، 1م.

-ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، 6م.

-الفخر الرازي، محمد بن عمر، **التفسير الكبير ومفاتح الغيب الشهير بتفسير الرازي**، ت خليل محيي الدين الميس، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1415-1995م، 17م.

-الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، بيت الأفكار الدولية، عمان-الأردن، 1م، 2004.

-الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، **المصباح المنير**، ت يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، 1م.

-القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، ت محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1415-1994م، 5ق.

-القباني، محمد محمد، **فقه الدعاء في القرآن الكريم**، دار وحي القلم، بيروت-لبنان، 2004م.

-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن الشهير بتفسير القرطبي**، ت سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1420-2000م، 11م.

-قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط26، 1416-1996م، 6م.

-محمد، محمد، **دراسات قرآنية**، دار الشروق، بيروت-لبنان، ط3، 1402-1982م.

-محمد، **نظرات في القصص القرآني**، دار الصحافة والنشر، مكة المكرمة، السنة السادسة، العدد 59.

-قمحية، جابر، **المدخل إلى القيم الإسلامية**، دار الكتاب اللبناني-لبنان-بيروت، 1984م.

-محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ت محمد حامد الفقي، دار المعرفة، لبنان-بيروت، ط2، 1395هـ.

-ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ت محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي-الكبيوت-لبنان، ط2، 3م، 1393-1973.

-الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآني**، دار الكتاب الجامعي، العين-الإمارات، 1م ط1، 1423-2003.

-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، ت محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 5م، 1420-2000.

-العريفي، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل**، دار أهل الحديث، 1998.

-المصري، محمود، **قصص الأنبياء**، دار التقوى، القاهرة-مصر، ط1، 1423-2002.

-المطيري، مشعوذة بنت هليل بن دخيل الله، **حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية، إشراف السعيد محمود السعيد عثمان-الملتقى جامعي، أبقاه الله، كلية التربية بالقويعية، المملكة العربية السعودية، 1429-2008.

-المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد زكي الدين، **الترغيب والترهيب**، ت أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان-الأردن.

-ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، لبنان-بيروت، ط1، 15م.

-الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1، 1420-2000.

-النحلاوي، عبد الرحمن، **التربية بالحوار**، 2000، دار الفكر المعاصر، لبنان-بيروت وسوريا-دمشق، ط1، 2002م.

-نوفل، أحمد، **سورة يوسف دراسة تحليلية**، دار الفرقان، عمان-الأردن-1989.

-النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ت عرفان حسونة، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 10م، 1420-2000.

مقالات على الإنترنت:

-عبد العليم، محمد، **لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يحبون فيها الحزن**، http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?regid=274294

-غير مذكور اسم كاتبه، الاكتئاب، htpp://ar.wikipedia.org/wiki

-غيـــــر مـــــذكور اســـــم كاتبـــــه، **الكآبـــــة... مـــــرض العـــــصر**،

http://www.albawaba.com/ar/health.mental_welbeing/270990

-غير مذكور اسم كاتبه، **فوائد من المجلات العربية**،

http://www.hayatnafs.com/faoaied-men-almajalat-alarabia/masha3er-althanb.htm>

The Quranic values for the discussions between parents and sons in the Quranic stories. (logical study)

By

Eyad Mithqal Mustafa Ismaaiel
Supervisor

Dr. Suliman Mohammad Al-Dgour

Abstract

This study handled the Quranic values in the discussion between parents and their sons within the Quran.

The study exhibited the values of this discussion and its importance in relation with humans and civilizations communication and implement ideas, principles and values.

It exhibited the topic of discussion in the Quranic stories to show the importance of the stories and its role in the discussion factor and what values it carries.

The study stood as a whole on values which extracted from this discussion in many fields such as theism, faith, worshiping, educational values, psychological values, moralities and social values.

Then it illustrated the reflection of these values on people and societies, the extend it can effect the life and how to enforce it in all life aspects.

The study concluded with most important results and recommendations.